ضَوءٌ عَلَى مَرَضِ الجَاحِظِ ووَفَاتِه

تاريخ تسلّم البحث ٢٠٠٣/٣/٥ — تاريخ قبــوله للنشر ٢٠٠٣/١٠/٧

محمّد محمُود الدُّروبيّ*

Abstract

The purpose of this study is to shed a new light on the last years of Al-Jahidh's life, which contained a harmful experience represented in a chronic illness that paralyzed him to deathbed. The study is centred on two main headings. The first undertakes the attitudes of Al-Jahidh via the critical phase of his ailing and its consequences. The second heading focuses on basic issues related to the death accident of Al-Jahidh, namely its cause, date, place, and impact.

The study shows mainly, within its other conclusions, that Al-Jahidh struggled against an obstinate disease for a period exceeded a quarter of century, therein, he was entirely separated, in home, from his society social, political, and literary competition. In spite of his poor health, he devoted himself and made a resolution to write a various and abundant literary works, that characterised his end years as the most rich and profound through his life. The study, also, ascribes the main death cause of Al-Jahidh to his ill health, which lay him dying (225H/AD 869). Along with this conclusion, the study refuted the fabricated death version given by a few later Arabic sources, claming that the death was an accident caused by the collapse of Al-Jahidh volumes on him. Finally, the study revealed sthat the deeply lamented death impact of Al-Jahidh, who had been a prominent figure in Arabic culture and literature, on his contemporaries' writings was weak and inadequate for the valuable contributions to his age and the educational status he had held throughout his life.

ملخّص

تُلقي هذه الدّراسةُ ضَوءاً جديداً على السّني الأخيرةِ من حياةِ الجاحظِ، مُمثّلةً بالأمْراض العَصبيّةِ التي اصْطلحت عليه، وأحالته إلى جَسدٍ مُضْطرب القوى فاسدِ الأخْلاط، وأسلمته بعد طَويلِ مُنازلةٍ وشَديدِ صِراعٍ إلى يدِ المَنيّة التي استلّته بعد رحلةٍ طَويلةٍ من العَطاءِ العلميّ الموصُول. وتقفُ الدِّراسة وقْفةً مُتأنيةً عند مِحورَيْن رَئيسيْن: أحدهما مَرَضُ الجَاحظِ، وما نَجَمَ عنه من انْقطاعِهِ عن مُشاركاتِهِ الأدبيّةِ والعلميّةِ والسّياسيّةِ والاجتماعيّةِ، ولُزُومِهِ البيت، وما كان من سُلُوكِهِ في هذه المِحْنةِ من الاتجاهِ إلى القراءةِ والتّأليفِ والتّصنيفِ، لتكونَ هذه المرحلةُ أغنى مرحلةٍ في سيرتِهِ إنْتاجاً وعَطاءً. وثانيهما وفاةُ الجاحظِ، وقد سَعَى الباحثُ ههنا إلى اسْتكمالِ الصّورةِ المطلُوبِ الوفاء بها، فتناولَ هذه الحادثةَ من أربعةِ جوانبَ

* أُستاذ مساعد، الأدب العباسيّ، قسم اللغة العربيّة، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت.

أساسيّةٍ هي: السّبب والزّمان والمكان والأثر.

وقد ظَهَرَ للدّارس أنّ الجاحظَ صارع أمْراضاً مُزمنةً أكثرَ من رُبعِ قرنٍ، بيدَ أنّه اسْتطاعَ أنْ يتكيّفَ مع المرض، ولو على نحوٍ، وأنْ يُخففَ مُعاناته بالانْقطاع إلى تأليفِ عشراتِ الكُتُبِ والرّسائل، ممّا جعلَ هذا الرّجلَ مِثالاً نادراً لأُولي العَزْمَ من العُلماء المُخلصين الذين ظلّوا مُثابرينَ على العطاءِ حتى لَفَظُوا آخر أنْفاسهم. كما توصل البحث إلى أنّ وفاةَ الجاحظ كانت نتيجةً طبيعيّةً لتلكَ الأمْراض التي ضَربته زَمناً طويلاً، وأنّ حادثةَ انهيار مُجلداتِ العلم عليه تُشبهُ أنْ تكونَ حادثةً مُخْتلقةً وروايةً مَصْنوعةً، لم تتناقلها إلاّ بعض المصادرِ العربيّةِ المُتأخرة. وأخيراً، فقد لاحظَ الدّارس أنّ صدى وفاتِهِ جاء فَاتِراً خَافتاً لا يُلائمُ المنزلةَ المرمُوقةَ التي كان يَحْظى بها في حالِ حياته.

حَظي الجاحظُ بعنايةٍ واضحةٍ في الدّراسات العربيّةِ والاستشراقيّةِ المُعاصرة، فقد نُشرت حولَهُ طائفةٌ واسعةٌ من الكُتُب التي تناولت حياتَهُ وأدبَهُ وفِكْرَهُ، فضْلاً عن عشراتِ الرّسائلِ الجامعيّة التي عُنيت به دَرْساً وتحْليلاً وتوثيقاً، ينْضافُ إليها مجموعةٌ كبيرةٌ من البُحُوثِ المُضمنَّة في المجلاّتِ العربيّةِ والأجنبيّةِ. ولعلّ وفرةَ المادةِ الحديثةِ عن الجاحظ تكونُ باعثاً لإقامةِ دراساتٍ جديدةٍ تَسْتكنهُ أنْظارَ المُعاصرين، وتُقيمُ أساساً صالحاً لِضربٍ من الدّراساتِ التّوثيقيّةِ المُهمّة، من أجلِ اسْتكمالِ أُصولِ التّصورِ النقديّ؛ لتبيّن قيمةِ هذه الدّراسات، وما عسى أن يتوصلَ إليه البحثُ من الولوجِ إلى جوانبَ جديدةٍ في الجاحظ، أو الوفاءِ بحقِّ جوانبَ مُهمةٍ لم تَسْتوفِ حظّها من الدّراسةِ والتّحليل.

وقد تبيّن للباحثِ أنّ المرحلةَ الأخيرةَ من حياةِ الجاحظ -على الرُّغم من أهميتها- لم تنلْ ما يُناسبُها من العنايةِ، وينْسحبُ هذا الحُكم على الدّراساتِ الحديثةِ مثلما ينْسحبُ على المصادرِ القديمةِ. أمّا المصادرُ، فقد اكتفت بنقلِ الأخْبارِ المُتعلّقة بمرض الجاحظ ووفاتِهِ، ولم تمضِ في تمحيصِ الرّواياتِ المُتضاربةِ حيناً والمُفتعلةِ حيناً آخر، ممّا أفْضى إلى تشتّتِ الآراء وتُناقضِها أحياناً. وأمّا الدّراساتُ المُعاصرةُ، فقد مرّ أكثرُها على السّنواتِ الأخيرةِ من حياةِ الجاحظ مُروراً غير مُتأنٍ، واقتصرَ جلّها على الإشاراتِ العَجْلى إلى مرضِ الجاحظ ووفاتِهِ، ومضى عددٌ من هذه الدّراساتِ يرسمُ صُورةً خياليّةً لتلك الوفاةِ التي عُزيت خطأً إلى سُقُوط خِزَانة كُتُبه عليه.

مَرَضُ الجَاحِظ.

كان بَدهياً وقد عُمِّر أبو عُثْمان، عمرو بن بَحْر الجاحظ، قريباً من مائة عامٍ أن تَزْدحمَ عليه الأمْراضُ والعللُ، فقد أخذت أمْراضُ الشَّيخوخةِ وآفاتُها تتقاسمُ أعضاءَ جِسْمه، وطَفِقَ يرثي حالَهُ، مُفارقاً بين ماضيه وحاضِره، مُقْنعاً نفسَهُ بعد هذه السنّ العاليةِ بذهابِ الشَّبابِ ونُزولِ الهَرم، مُنْشداً(١):

أترجو أن تكونَ وأنتَ شَيْخٌ   كما قد كُنتَ أيامَ الشَّبابِ
لقد كَذبتك نَفْسُك، ليس ثوبٌ   دَرِيْسٌ كالجَديدِ من الثِّيابِ

ويُنشدُ تارةً أُخرى أصْدقاءه وعُوّادَه، وقد تسَألوه عن حَاله(٢):

عَليلٌ من مَكانين: من الأسْقامِ والدَّين

عانى الجاحظُ في عَقْده الثَّامن ضَعْفَ السَّمع، فقد أحسّ بثقلِ أُذنه، فأسِفَ لتسرّبِ أدْواء الكِبَر التي لا عِلاجَ لها إلى بدنِه الضَّعيفِ، ورَفَعَ عقيرتَهُ مُتمثّلاً ببيتِ عَوف بن مُحلِّم الخُزاعيّ (ت نحو ٢٢٠هـ/ نحو ٨٣٥م) الذي رثى فيه سَمْعَهُ(٣):

إنّ الثّمانينَ - وبُلِّغْتَها-   قد أحْوَجَتْ سَمْعي إلى ترْجُمانِ

كما كابدَ الجاحظُ ضَعْفَ البَصَر، ولا سيّما أنّ حَدقةَ عَيْنه كان بارزةً منذ صِباه، حتّى غلبَ عليه لَقبُ «الجاحظ» الذي يُشيرُ إلى نُتوءِ العينِ وخُروجِها من مَحْجرها. ولعلّ ممّا ضاعفَ تراجعَ قُوة جِهازِ الرّؤية عند الجاحظ انكبابَهُ على العلمِ واشْتغالَهُ بالقراءةِ والتّأليف، وهي صَنْعةٌ تعتمدُ أكثر ما يكونُ حاسةَ الإبْصار. وحقّاً أدركَ الجاحظُ ما يُمكن أنَ تجرّ عليه مُطالعاتُهُ التي لا تَنْتهي في بُطُون الكُتُب من فَقْدِ البصرِ تماماً، فَعَمدَ إلى تَكْييفِ أوضاعٍ جديدةٍ للقراءة، فطَرحَ الجُلوسَ أثناء العملِ في التَّصنيفِ، ولجأ إلى الاسْتلقاء؛ إذ وجدَ بالتَّجربةِ والمِراسِ أنّ هذا الوضعَ أشدُّ راحةً للبصرِ من الانْتصابِ، ومضى يتحدّثُ عن المَضار التي يُحدثها انْتصابُ الجسمِ مُدّةً طويلةً في قوةِ الرّؤية؛ لأنّه يُكْره البصرَ على غيرِ جهته، ويُجري شُعاعَ النّظرِ في غير مَجْراه(٤). وهكذا استْطاعَ أبو عُثْمان أن يَتكيّفَ، ولو على نحوٍ، مع آفةِ البصرِ، وأنْ يُبقي من بَصره على القَدْر الذي يستطيعُ معه مُتابعةَ المسيرةِ العلميّةِ قراءةً وتَصْنيفاً إلى أبعدِ أشْواطها.

يُعدُّ الجاحظُ مثالاً نادراً في حُبِّ القراءة، إذ كان يَكْتري دَكاكينَ الورّاقين ليلاً، ويبيتُ فيها للنظرِ والمُطالعة في ضَوء السُّرجِ والشُّموع(٥)، بينما كان النّاسُ من حوله يَغطّون في منامٍ لذيذٍ، وحدّث مُعاصروه عن شَغفه الزّائدِ باقتناء الكُتُب والانْقطاعِ إلى مُطالعتها، فقد ذُكرَ أنّ كِتاباً لم يقع بيده إلاّ اسْتوفى قراءتَهُ كائناً ما كان(٦). ومن أوْضحِ الدّلالة على هذا الشّغف المُنْقطعِ بالكتابِ ذلك الحديثُ الأدبيُّ الرّائعُ الذي جعله أبو عُثمان أُمْدوحةً خالدةً للكتابِ ما زلنا نَلْتذّ بسماعها: «الكتابُ نعمَ الذُّخرُ والعُقْدةُ هو، ونعمَ الجليسُ والعُمْدةُ، ونعمَ النّشرةُ والنُّزهةُ، ونعمَ المُشْتغَلُ والحرْفَةُ، ونعمَ الأنيسُ لساعةِ الوحدة، ونعمَ المعرفةُ ببلاد الغُربة، ونعمَ القرينُ والدّخيلُ ونعمَ الوزيرُ والنزيلُ...»(٧). وقد أَفْضت هذه العنايةُ إلى خُرُوجِ الجاحظ عن عشرات الآثارِ في الأدبِ والسّياسةِ والدِّين والاجْتماعِ وغيرها من الموضُوعات. ولا شكَّ أنّ هذا الاتجاهَ انْعكسَ سَلْباً على بَصَرِ الجاحظ، حتّى إنّ الوزيرَ ابنَ الزّيّات (ت ٢٣٣هـ/٨٤٧م)أخذَ عليه ضَعْفَ بصرِه، بيدَ أنّ ردّ الجاحظ كان مُنْدغماً مع نزَاعِهِ الشّديدِ إلى الكِتاب، وألقى نفسَهُ أخيراً بين خَياريْن صَعبيْن: العَمى أو الجَهل(٨).

وشكى الجاحظُ بالمثلِ غيرَ مرةٍ ضَعْفَ بَدنِهِ الذي لم يَعد يُطيقُ احْتمالاً، ولعلّه ولِدَ ضَعيفَ البِنْية كما يُولد كثيرٌ من الأطفالِ في البيئات الفقيرةِ المُعْدَمة، وتحدّثَ شاكياً عن الوَهنِ الذي دَبّ في أصْلابه فأدّى إلى ضِيقِ صَدْره، واسْترخاءِ عَضلاته، وتقوّسِ عُودِه، وشُحُوبِ لونِه، وامْتقاعِ وجهه بالدّم(٩)، وقد عَزَا الجاحظُ هذه الأعْرَاضَ إلى عُلو سنِّه واشتغالِه بالقراءةِ والتّصنيفِ، بما يتطلّبه ذلك من انْفاقِ السّاعاتِ الطِّوالِ في مُجالسةِ الكُتُب ومُدارستها وتَقْليبها.

وشكى أبو عُثمان في شِعْرٍ له ما أصابَهُ من تَساقط الشّعَر، حتى عادَ أصْلعَ، ليس ثمّة ما يُغطي فَرْوَةَ رأسِهِ من شَعَرٍ، ولو كان أبْيضَ اللونِ، يقولُ نادباً شَعَره(١٠):

إنّ حَالَ لَونُ الرّاس عن لونِه ... ففي خِضابِ الرّاسِ مُسْتمتعُ
هب مَنْ له شَيْبٌ لـه حِيلةٌ ... فما الذي يحتالُهُ الأصْلعُ ؟!

وفضْلاً عن هذه العللِ التي دَهت الجاحظَ لتقدّمِهِ في السنِّ وبلُوغه نحو مئة عامٍ، عانى مُعاناةً شديدةً من ثلاثة أمْراضٍ أتت عليه بجناياتها، حتّى فَتّت عَضدَهُ، فتحوّلَ إلى مدينته البَصْرة، وأقعدَهُ الفِراشُ، وانْقطعَ عن المُشاركاتِ الأدبيّةِ والثقافيّةِ

والاجتماعيّة، وإنْ ظلّ يستقبلُ زُوّاره ومُحبيه الذين طَرقوا بابَهُ وفاءً واعْترافاً بفضله ورغبةً في الاجْتماعِ به قبل مَوته(١١). وقد أتاح هذا الانْقطاعُ للجاحظ أن يعكفَ على كُتُبه، وكأنّما هو ينتظرُ قضاءَ الله فيه، وهو على تلك الحالِ من الجِدِّ والمُثابرةِ غيرَ مُستسلمٍ للأدْواءِ التي فعلت فيه فِعْلتها.

وأوّلُ هذه الأدْواء داءُ الفالجِ الذي أصاب أحدَ شِقّي الجاحظ، فتركه يُصارعُ شَلَلاً نصْفياً مُقْعداً، أصبح لا يَقْوى معه على القيامِ بنشاطه الحركيّ الكامل، وقد تمثّل هذا الفالجُ الشّديدُ الذي لازم الجاحظَ أكثرَ من رُبعِ قرنٍ فيما كان يُصيبُ شقّه الأيْسر من خَدَرٍ وبُرودةٍ جعلته يفقدُ إحساسَهُ بهذا النّصفِ من جسدِه، وكأنّما تخلّى بعضُهُ عن بعضٍ، وقد شخّص مدى فُقْدانه الإحساسَ بهذا الجزء، فتصوّر أنّ المَناشيرَ أو المَقاريضَ أو المَسالَ لو عَمِلت في هذا الشقِّ لَمَا أحسّ به!!(١٢).

وقد وردت الإشارةُ صَريحةً على لِسان يَمُوت بن المُزَرّع (ت ٣٠٤هـ/٩١٦م) -كان الجاحظُ خالَ أُمّه- إلى أنّ الجاحظَ كان ذا شِقٍ مائلٍ -أي مَفْلُوجاً- سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م، فقد وجّه المتوكّلُ (ت٢٤٧هـ/ ٨٦١م) في هذه السّنة رسُولاً إلى البَصْرة ليحملَ إليه الجاحظَ، فاعْتذرَ عن إجابةِ دَاعي الخليفة؛ لما يُعانيه من عللٍ بدنيّةٍ أولّها الفالج(١٣). ومن المُؤكد أنّ العلةَ لم تَنْحدرْ بعد هذا التّاريخ، بل ظلّت تُلازمُ الجاحظَ حتى وفاته. وثمّة شَهادةٌ مُهمةٌ يُقدّمها المُبرّدُ (ت٢٨٦هـ/ ٨٩٩م) مفادُها أنّه دَخَلَ على الجاحظِ في «آخر أيامِهِ» فوجدَهُ على تلك الحالِ مَفْلوجاً يُنازلُ داءً عُضَالاً اسْتعصى على الدّواء(١٤).

بيدَ أنّ إصابةَ الجاحظِ بالفالجِ تعودُ حَتْماً إلى ما قبل سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م، فقد أشارَ إلى إصابته بهذا المرضِ في ثلاثةٍ من آثارِه العائدةِ إلى خلافةِ الواثقِ (ت ٢٣٢هـ/٨٤٦م). أمّا الإشارةُ الأُولى، فقد وردت في كتاب «البُخلاء» -الذي وضعه في المُدّة المذكُورة-(١٥) على لِسان مَحْفوظ النّقّاش مُخاطباً الجاحظ: «وأنتَ رجلٌ قد طعنتَ في السنّ، ولم تزل تشكو من الفالجِ طَرَفاً»(١٦)، ويُستشفُ من قوله "طَرَفاً" أنّ فالجَ الجاحظ في هذه المُدّة لم يكن شَديداً إلى حدِّ الإقعاد، كما حَدَثَ لاحقاً. وأمّا الإشارةُ الثّانيةُ، فقد جاءت في رسالة «مَدْح النّبيذ» التي كتبها إلى الحَسنِ بن وهب (ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م)- في المُدّةِ نفسها(١٧) -وفيها يُخاطبُ الجاحظُ ابن وهبٍ قائلاً:

«وكيف صارت أمْراضي أمْراضَ الأغنياءِ وأمْراضُك أمْراضَ الفُقراء إلاّ لمعرفتي بفضله -أي النّبيذ- واسْتخفافك بقَدْره، ألا ترى أنّي مُنقرسٌ مَفْلوجٌ، وأنتَ أجربُ مَبْسورٌ»[١٨]. وأمّا الإشارةُ الأخيرةُ، فقد ضمّها كتابُ «الحيوان» -المؤلّفُ بصُورته الأُولى في نحو سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م[١٩]، ولم يُصرح الجاحظُ هذه المرةِ بالمرضِ، ولكنّه وصفه بالعلةِ الشّديدة، يقولُ عمّا لقيه وهو يُؤلفُ كتابَهُ الطّويل: «وقد صادفَ هذا الكتابُ مني حالاتٍ تمنعُ من بُلوغ الإرادةِ فيه، أول ذلك العلةُ الشّديدة»[٢٠].

وهذه الإشاراتُ جميعها تدلّ بما لا يَفْسحُ مجالاً للشكّ على أنّ الفالجَ تسلّل إلى الجاحظِ في المُدّة التي توثّقت فيها صلتُهُ بابن الزّيّات، إبانَ خلافةِ الواثق، أي عندما كان يتردّدُ بين بغدادَ وسامراء والبَصْرة، وقد جاء في إحدى الرّوايات أنّ عَبْدان الطّبيب دخلَ عليه يعوده بسُرّ مَنْ رَأى وهو مَفْلوج[٢١]. بيدَ أنّ هذه الرّواية تبدو مُضْطربةً من وجهيْن: أولهما أنّها تُشيرُ إلى أنّ الفالجَ أقْعدَ الجاحظَ في هذا الدّور، فغدا ذا «شقّ مائلٍ ولُعابٍ سائلٍ»[٢٢]، ولا إخالُ أنّ الفالجَ الأولَ كان شديداً حتى يُحيلَ الجاحظَ إلى جُثّة هامدةٍ لا تَقْوى على الحراك، كما فعلَ فالجُهُ الثّاني في خَلافةِ المُتوكّل. وثانيهما أنّ الرّوايةَ تشيرُ إلى طلبِ رسُولِ المُتوكّل من الجاحظِ أنْ يُحملَ إليه[٢٣]، ومعرُوفٌ أنّ الجاحظَ عندما طلبه المُتوكّلُ كان في البَصْرة، ولم يكن في سَامراء.

وهكذا يُسْتبانُ من النّظرِ أنّ الجاحظَ مرّ بعارضِ الفالجِ في أواخر سُلطانِ المُعْتزلة، غيرَ أنّ شكواه لم تُقْعده تماماً، إذ ظلّ قَادراً على الحركةِ والتّنقالِ، وليس أدل على ذلك من رحلتِهِ إلى الشّامِ ودُخُولِهِ دمشقَ وأنْطاكية في خِلافةِ المُتوكّل برِفْقة الوزير الفَتْح بن خَاقَان (ت ٢٤٧هـ/٨٦١م)[٢٤]. وما هي إلاّ سنوات من هذه الرّحلة حتى عاودَ الفالجُ الجاحظَ، وذلك في أواخر خِلافةِ المُتوكّل، ونزلَ المرضُ به هذه المرّة من غيرِ رحمةٍ، حتى اضطُر إلى لُزومِ البيت، وكادت حركتُهُ تَتَعطّل.

وليس تحت أيدينا ما يُشيرُ إلى سببِ إصابةِ الجاحظ بالفالجِ سوى تلك الرّواية التي ساقها ابنُ أبي أُصيبعة (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) عن ابن بُطْلان (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) ومَفادها أنّ الجاحظَ اجتمع مع الطّبيب يُوحنا بن مَاسويه (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م) على مائدةِ الوزيرِ ابن بُلبل (ت ٢٧٨هـ/ ٨٩١م)، فجمعَ الجاحظُ بين المَضيرةِ والسّمك، وامتنع ابنُ ماسويه من الجمعِ بينهما، واحتجّ الجاحظُ لِصنيعه، واسْتنظره

ابنُ ماسويه إلى الغدِ، فأُصيبَ الجاحظُ من ليلته بالفالج[٢٥]. ويبدو هذا الخبر مُضْطرباً من جهتَيْن: أولهما الإشارةُ إلى وزارة إسماعيل بن بُلبل، وهو تاريخٌ مُتأخرٌ عن وفاة الجاحظ، إذ من المعروفِ أنّ ابن بُلبل تسلّم وزارة المُعتمد(ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) الذي ولي الخلافةَ بعد وفاة الجاحظ[٢٦]. وثانيهما أنّ يوحنا بن ماسويه قَضَى قبل وزارة ابن بُلبل بمُدّةٍ، وذلك في سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م[٢٧].

غيرَ أنّ الكُتبيّ (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) وابن نُباتة (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) أوردا روايةً أُخرى تفيدُ أنّ سببَ علّة الجاحظ أنّه حَضَرَ مائدةَ القاضي ابن أبي دُوَاد (٢٤٠هـ/٨٥٤م)، فجمعَ بين اللّبنِ والسّمكِ، فنهاه ابن بَخْتيَشُوع الطّبيب (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) عن ذلك، فاحتجَّ بالكلامِ، فلما أصبح فُلج فالجاً شديداً[٢٨]. وتبدو هذه الرّواية أدْعى إلى القَبول من سابقتها، غيرَ أنّها لا تُقدّم دليلاً كافياً من وجهةِ نظرٍ علميّةٍ طبيّةٍ للقول إنّ خَلْطَ السّمكِ باللّبنِ كان سببَ إصابةِ الجاحظ بهذا المرض، ولا يمكننا عليه أن نُثبت صحة هذه الرواية، أو أن نطمئن الى فحواها. وقد رأى طه الحاجريّ أنّ هذه الحكاية مُلفقةٌ، وضعها الأطْباءُ الذين كان الجاحظُ على خُصُومةٍ شديدةٍ معهم، كما يدلّ على ذلك تأليفُهُ كِتاباً سمّاه «نَقْض الطّب»[٢٩].

ولعلّ من الطّريف أن يُشارَ ههنا إلى انْتشارِ مرضِ الفالجِ في العصرِ الذي عاشَ فيه الجاحظُ، فقد أُصيبَ به خلقٌ كثيرٌ. وقد عقد الجاحظُ في كتابه «البُرصان والعُرجان» مَطْلباً تحدّثَ فيه عن مشاهيرِ المَفاليج، وساقَ بعضَ مُشاهداته في هذا المرض[٣٠]، وكأنما رَامَ وهو يكتبُ عن هذا الدّاء أن يُسلي نَفْسه بذكرِ من أصابهم الفالجُ الذي أصابه.

ولم تقف الأدْواءُ التي تجرّعها الجاحظُ عند شللّه النّصفيّ المُقْعد، فقد اقتصّ النِّقْرِس، أو داءُ المَفاصِل، من جانبِهِ الأيمن، فأضْحى هذا الشقُّ من جَسدِهِ ورمَاً شديدَ التّحسّس، بخِلافِ شقّه الأيسرِ المفلُوج الذي فَقَدَ القُدرةَ على الإحْساس، وقد صَوّر شِدّةَ آلامِهِ في هذا الشقّ، فَقالَ: «لو طارَ الذُّبابُ بقُربِهِ لآلمه»!![٣١].

وإذا كانت ثمّة إشارات احتفظت بها آثارُ الجاحظِ تدلُّ على إصابته بالفالجِ، فإنّ الإشاراتِ إلى إصابته بالنِّقْرِس جاءت نادرةً، أهمّها ما جاء في رسالة «مدح النّبيذ» يُخاطبُ الحسنَ بن وهب: «ألا ترى أنّي مُنقرسٌ مَفْلوجٌ، وأنتَ أجربٌ

مَبْسورٌ»[٣٢]. والغريبُ أنّ الجاحظ يَفْخرُ على ابن وهبٍ في أنواعِ العللِ التي دهته، فيجعل أمْراضَهُ أمْراضَ الأغْنياء، وأمْراضَ الحسنِ أمْراضَ الفُقراء، ولعلّه يشيرُ في ذلك إلى تسمية النَّاس النِّقْرِس بداءِ المُلوك[٣٣]. وربما أوحت إصابته بهذا المرضِ بما كانت تضمّ موائدُهُ من الأطعمةِ الغنيّةِ التي لا يُقدّمها سوى المُوسِرين على مآدبهم المُتْرفة، ولا سيّما بعد أن تخلّص من شَظَف حياةِ الفقر وأضْحى ذا ثروةٍ طائلة. كما يظهرُ من ورودِ هذه الإشارة في الرّسالة المذكورة أنّ إصابته بالنِّقْرِس تزامنت مع إصابته بالفالجِ، وجاء في روايةٍ أنّ إصابته بهذيْن العارضَيْن معاً كانت جراءَ جمعه في الأكلِ بين اللبنِ والسّمك[٣٤]، وإنْ كانت روايةٌ أُخرى أشارت إلى أنّ جمعَهُ بين هذيْن أفْضى إلى إصابته بالفالجِ فحسب[٣٥].

ويبدو جلياً للناظرِ أنّ أعراضَ الفالج والنِّقْرِس مُتنافرةٌ مُتعارضةٌ، من جِهة بُرودةِ الأول وحساسيته، وحرارةِ الثّاني وخَدَره، وقد أحسنَ الجاحظُ تشخيصَ الحالِ حينَ وَصَفَ علته بـ «العلّة المُتناقضة»[٣٦]، وهو وصفٌ دقيقٌ لواقعِ التّعارضِ الحاصلِ بين هذيْن المرضيْن. وهكذا قاسى أبو عُثمان في مرضه مُقاساةً شديدةً ترجمَ عنها بقوله للطبيب: «اصْطلحت الأضْدادُ على جَسَدي، إنْ أكلتُ بارداً أخذَ برِجلي، وإنْ أكلتُ حاراً أخذَ برأسي»[٣٧].

وثمّة إشاراتٌ إلى أنّ الجاحظَ كان يَسْتشفي من هاتيْن العلّتيْن، فقد ذُكرَ أنّه كان يَطْلي نِصْفه الأيمنَ بالصّندل والكافُور؛ لشدّة حَرارته[٣٨]، ولعلّ هذا الدُّهنَ كان العلاجَ الموصوفَ آنذاك لمُعالجةِ الأوْرامِ النِّقرسيّةِ ابتغاءَ تخفيف حدّة الحساسيّةِ النّاجمةِ عن ارتفاعِ حَرارةِ العضو المُنقرِس. وأمّا الفالجُ، فقد ذُكرَ أنّ الجاحظَ طَلَبَ من أحد البرامكةِ المُتولّين السِّند أن يُوجّه إليه من الإهْليلَج (شجرٌ يُشبه الصّنوبر) الذي جلبه من تلك البلادِ؛ علّه يكون ذا فائدةٍ في تَخْفيف آلامِ الفالج[٣٩].

وأُصيبَ الجاحظُ إلى جانبِ الفَالج والنُّقْرِس بالحُصْر، أو الأُسْر، وهو احتباسُ البولِ لعلّةٍ في المَثانة، وقد شخّص الجاحظُ هذه العلّة بحَصاةٍ سدّت المَجْرى. فأمْسى البولُ لاينْسرحُ معها[٤٠]. وقد جاءت الإشارةُ إلى هذه العلّة في رسالةِ «الجدّ والهزل»، إذ أشارَ الجاحظُ إلى تشفّي ابن الزّيّات بما أصابه من عُسرِ البولِ النّاجمِ عن حَصَى الرّمل المُعْتَرِضَة، ممّا أفْضى إلى أضْرارٍ في الكُلَى والمَثانة، فوق مُعاناته من ألوانِ القلقِ والعذابِ النَّفسيّ[٤١].

وهكذا يتراءى واضحاً أنّ أمْراضَ الجاحظِ الثّلاثة: الفَالج والنِّقْرِس والحُصْر، كانت ضَربته قبلَ وفاته بثلاثة عُقودٍ على الأقل، وهو على مَشارف السّبعينَ من العُمر، وظلّت أعراُضها الشّديدةُ تُرافقه حتّى وفاته، وقد دَانى المائة. ولنا أنْ نتصورَ ما يُمكن أن يُحدثه اصْطلاحُ هذه الأمْراض المُزمنة في جسدٍ شيخٍ كبيرٍ طاعنٍ في السنّ، وما يمكن أن تُسبّبه لصاحبها من شكوى مريرةٍ تكادُ تستولي على الإنْسانِ فتتركه جُثّةً هامدةً لا يَقْوى معها على شيء، ولكن الجاحظَ استطاعَ، كما قلتُ آنفاً، أن يتكيّفَ مع أمْراضه إلى قَدْرٍ، فإذا هو يتصدّى للمرضِ والألم، ويحاولُ جهدَهُ في التّغلبِ على الوَهنِ الذي اعْتراه، وحقّاً أثبتَ الجاحظُ قُدرةً فائقةً على التّحمل، وهل أدلُّ على ذلك من انْقطاعهِ إلى التّأليفِ والكتابةِ في هذه العُقودِ الأخيرةِ من حياته، حتى خرجت من تحت يديه أهمُّ آثاره مثل: «البيان والتّبيين»، و«الحيوان»، و«البُخلاء»، و«البُرصان والعُرجان»، فضْلاً عن عشرات الرّسائل، وبين أيدينا ما يزيدُ على خمسة وعشرينَ أثراً كتبها الجاحظُ وهو مُصابٌ بالمرض[٤٢]، فضْلاً عن عشرات الآثار المفقُودة العائدة إلى هذه المرحلةِ من حياةِ الجاحظ.

لم يَسْتسلم أبو عُثمان للمرضِ على قَسوته، وظلّ قَادراً على العطاءِ العلميّ الموصُولِ حتى آخر لحظاته، وثمّة رسالةٌ كتبها إلى أحد مُعاصريه يُرجعُ تاريخُ إنشائها إلى ما بعد سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م[٤٣]، وربما تكونُ هذه الرسالة آخر ما خطّه قلمُ الجاحظ بعد رحلةٍ علميّةٍ طويلةٍ شاقة. ونظير ذلك كتابةُ «البُلْدان»، فقد ألفه بين سنتي ٢٤٨-٢٤٩هـ/٨٦٢-٨٦٣م[٤٤]، حينَ إصابته بالفالجِ العظيمِ الذي منعه من الحَركة.

وعلى الرُّغم من رَباطة جأشِ الجاحظ وقوة نَفْسه في مُنازلة المرضِ، وبقاءِ رُوحه حيّةً وذَاكرته قويةً وقلمه سيّالاً، فقد كانت عباراتُه في السّني الأخيرة من حَياته، إبّانَ اشْتدادِ المرضِ، تَشي بالحالِ الجسميّة والنّفسيّة الحَرجةِ التي كان بَلَغَها، ومن ذلك قولُهُ للرسولِ الذي جاء يَسْتدعيه للخليفةِ المُتوكّل سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م: «وما يَصْنعُ أميرُ المُؤمنين بامرئٍ ليس بطائلٍ، ذي شِقٍ مائلٍ، ولُعابٍ سائلٍ، وفَرْجٍ بائلٍ، وعَقْلٍ حائلٍ»!![٤٥]، ويُناظرُ ذلك قولُهُ لجماعةٍ من أصْدقائه قَدمُوا لزيارته: «ألا إنّي قد حَوْقلتُ -أكْثرَ من قولِ لا حَولَ ولا قُوةَ إلاّ بالله؛ لتتابعِ الأمْراضِ عليه- وحَملْتُ رُمَيْحَ أبي سَعْد- أسنّ فاستعانَ بالعَصا -وسُقتُ الغَنَمَ- كِنايةٌ عن الهَرَم- فما تَصْنعونَ بي؟ سَلّموا سَلامَ الودَاع»[٤٦].

وإزاءَ هذه العِلل التي قَطعت الجاحظَ عن مُبادلاته الاجتماعيّة ومُشاركته السّياسيّةِ ومُطارحاته الثّقافيّة، كَثُرَ سُؤالُ المُجتمعِ العبّاسيِّ -على اخْتلافِ فئاته- عن حالِ الجاحظ، فقد أرادَ الخليفةُ المُتوكّل نَقْلَهُ من البَصْرةِ إلى العاصمةِ ليكونَ قريباً منه(٤٧)، كما كان الخليفةُ المُعتزُّ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) -من بعدُ- عازماً على اشْخاصه من البَصْرةِ ليُقيمَ عنده(٤٨). وبالمثل، زارَ الجاحظَ في مرضه عَددٌ من الأعيانِ والعُلماءِ والأُدباءِ، فقد عَادَه البرمكيُّ، والي السِّند المَعزُول(٤٩)، والمُحَدِّثُ أبو بكر عبدالله بن أبي دَاود السِّجِستانيّ (ت٣١٦هـ/٩٢٦م)(٥٠)، والمُتكلّمُ أبو الحسن البرذعيّ(٥١)، والأديبُ اللُّغويّ أبو العبّاس المبرِّد(٥٢)، والطّبيبُ أبو مُعاذ عَبْدان الخُوَيِّي(٥٣)، وكان يُشاركه محنتَهُ لَفيفٌ من أصْدقائه وخُلاّنه وجيرانه وتَلاميذه(٥٤).

كان الجاحظُ رَاغباً في داخله ألاّ يُزعجَ النّاسَ بمأساته، ولكنّه ظَلّ يَفتحُ بابَهُ للسائلينَ عنه، ولما اشتدّت به وطأةُ المَرضِ اعتذرَ بلُطفٍ عن اسْتقبالِ الزّوّار(٥٥)، وكان بعضُهم يمرُّ به مُسلّماً سلامَ الودَاعِ من غيرِ إثْقال(٥٦). وأمام الرّغبة المُلحّة لبعضِ العُوّادِ القادمين من أماكنَ بعيدةٍ بالاجتماعِ به والسّماعِ منه قبل رحيله عن الحياة، لم يجد أبو عُثمان مَناصاً من تحقيقِ هذه الرّغبة، فكان يجلسُ إلى بعضهم ويُحادثُهم ويُحاورُهم ويرويهم من علمه وأدبه(٥٧)، ممّا يدلُّ على أنّ عقلَهُ وحافظتَهُ ظلّتا سليمتَيْن من الآفاتِ والعِللِ التي اصْطلحت على جَسده.

وفاته.

يَتنازعُ الحديثَ عن وفاةِ الجاحظ أربعةُ جوانبَ مُهمةٍ هي: السّبب والزّمان والمكان والصّدى، وإذا ما أُتيح للباحثِ أنْ يعالجَ وفاةَ الجاحظِ سبباً وزماناً ومكاناً وصدًى، فقد اسْتكملَ ملامحَ الصّورة المَنهجيّة المطلوب الوفاء بها في تَناولِ آخرِ الأطْوارِ التي مرّ بها الجاحظُ بعد رِحْلته في الحياة.

ويتراءى من الوقْفةِ المُتأنيةِ عند الجانبِ الأولِ أنّ الأمْراضَ التي أصابت الجاحظَ في أواخرِ عُمره كانت السّببَ الرّئيسَ في وفاته، فقد ظَهَرَ آنفاً أنّ الجاحظَ نَازلَ قبل وفاته بنحو ثلاثينَ سنةً ثلاثة أمْراضٍ عَصبيّة، ظلّت وطأتُها تشتدُّ عليه يوماً بعد يومٍ حتى ألزمته البيتَ، يُعاضدُها في ذلك أمْراضُ الشّيخوخةِ التي أرهقته، وأحالته إلى جَسدٍ ضعيفٍ فاسدِ الأخْلاطِ مُنْهكِ الأعْضاء.

وتُؤكد الإشارات التي تَناقلتها المَظانُ العَربيّة أنّ الجاحظَ ظَلّ يُصارع عِلله حتّى آخر لحظاته، وكان أشدّها عليه الفالجُ العظيمُ الذي شلّ حركتَهُ وصيّره رَهينَ البيت. ولعلّ ممّا يَزيدُ النّاظرَ ثقةً بتلك الإشارات أنّ أكثرها صَدرَ عن أُناسٍ عَادوا الجاحظَ في تلك المِحْنة المَرضيّة، يقولُ أبو الحسن البرذعيّ المُتكلّم: «صُرتُ إلى منزلِ الجاحظ، في أول ما قدمتُ إلى بلدي، وقد اعتلّ علتَهُ التي فُلِجَ بها، فاستأذنتُ عليه فَخَرجَ إليّ خَارجٌ من منزِله، فَقالَ لي: يقولُ لك: وما تَصْنَعُ بشقٍ مائلٍ ولعابٍ سائلٍ؟!»(٥٨). ونظير ذلك ما حكاه البرمكيّ، والي السِّند المَعْزول، يقولُ: «رَكِبتُ البحرَ، وانحدرتُ إلى البَصْرةِ، فخُبِّرتُ أنّ الجاحظَ بها، وأنّه عليلٌ بالفالج، فأحببتُ أنْ أراه قبل وفاته، فصرتُ إليه، فأفضيتُ إلى بابِ دارٍ لطيفٍ، فقرعتُه، فخرجت إليّ خادمٌ صَفْراء، فقالت: من أنتَ؟ قلتُ: رجلٌ غريبٌ، وأحبُّ أن أُسرَّ بالنّظر إلى الشّيخ، فبلغته الخادمُ ما قلتُ، فسمعتُه يقولُ: قُولي له: وما تصنعُ بشقٍ مائلٍ ولعابٍ سائلٍ ولونٍ حائلٍ؟!»(٥٩). كما أكد الشّاعر يزيد بن مُحمّد المُهلبيّ (ت نحو ٢٥٩هـ/ نحو ٨٧٣م) للخليفةِ المُعْتز عندما نُعي إليه الجاحظُ: «أنّه كان قبلَ مَوته عَطِلاً بالفالج»(٦٠).

وتلْتقي هذه الشّهاداتُ في السّبيل نفسِها، فهي تُصرحُ أنّ الجاحظَ عاشَ سِنِيّه الأخيرةَ مُثْقلاً بالأمْراض والعِلل، وكان مُتَوقعاً، وقد تقدّم في عُمُره ولم يعد يُطيقُ الآلامَ الشّديدةَ، أنْ تكونَ نهايتُه ناجمةً عن هذه الأمْراض التي أعانها عليه عُلو سِنّه، حتى أتت أخيراً عليه بجِنايتها. وقد أشارَ الجاحظُ نفسُهُ في رسالةٍ رثى فيها أحدَ أصْدقائه إلى أنّه بات يتوقّعُ الموتَ ويحسُّ به إحْساساً قوياً(٦١). ولعلّه كان يرى الموتَ بمرمًى منه، وقد أنشدَ زُوّاره ذاتَ يومٍ(٦٢):

وكان لنا أصْدقــاء مَضَـوا | تَفانوا جميعــاً وما خلـدوا
تساقوا جميعاً كُؤوسَ المَنون | فمات الصّديقُ ومات العدو

بيد أنّ بعضَ المُؤرخين المُتأخرين رشّح سُقُوطَ كُتُب الجاحظ عليه سَبباً رئيساً لوفاته، يقولُ أبو الفِداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): «رُوي أنّ موتَهُ كان بوقُوعِ مُجلداتٍ عليه، وكان من عادتِه أن يصفّها قائمةً كالحائط مُحيطةً به، وهو جالسٌ إليها، وكان عليلاً، فسقطتْ عليه فقتلته»(٦٣). ويقولُ ابنُ الورديّ (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): «وقعت عليه مُجلداتُهُ المَصْفُوفة، وهو عليلٌ، فقتلته»(٦٤)، ويترددُ صدى المقولةِ نفسها عند ابن العِماد

الحَنْبليّ (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، يقولُ: «وكان موتُه بسقوطِ مُجلداتِ العلمِ عليه»[٦٥].

ويؤيدُ هذا الرّأي كثيرٌ من المُعاصرين[٦٦]، والطّريفُ أنّ جُلّ هؤلاءِ أخذَ يحوكُ انطباعَتِه الذّاتيّة حول الحادثة، فعبدُ السّلام هارون يَتحدثُ عن غَدْرِ كُتُبِ الجاحظ به، يقول: «والعجبُ أنّ تلك الأسْفار التي عُني بها صاحبُنا لم تبرّ به، ولم تُبادله الوفاءَ، فغدرت به، وكان موتُه بسُقُوطِ مُجلداتِ العلمِ عليه»[٦٧]. ويجعل شوقي ضَيْف الجاحظَ ضَحيةَ كُتُبه، فيقولُ: «وأخيراً، وبعد مرضٍ قاسٍ طويلٍ انهالت الكُتُبُ على الجاحظ، وهو جالسٌ بينها، فقضت عليه، وهكذا ذَهَبَ الجاحظُ ضَحيةَ آثرِ الأصْدقاء وأعزّهم لديه»[٦٨]. ويُشيدُ شارل بلاّ بتلك المِيْتةِ قائلاً: «إنّ الجاحظَ مات من جَرّاءِ سُقُوط رُفوف الكُتُب عليه، وليست مِيْتةٌ أفضلَ من سُقُوط الكُتُب على رجلٍ وقفَ حياتَهُ عليها»[٦٩]. ويجعل مُحمّد عبدالمُنعم خَفاجي الكُتُب رفيقةَ الجاحظ في حياتِه ومَماته، فيقولُ: «وفي أُمسيةٍ من أُمْسياتِ شهرِ المُحرّم، كان الجاحظُ جالساً في حُجرةِ كُتُبه ومُطالعاته العزيزةِ عليه، الحَفي بها، فانهالت عليه أكْداسُ الكُتُب فقضت عليه، وماتَ أبو عُثمان وسطَ الكُتُب التي أحبّها طُولَ حياته، وكأنّما كان يُريدُ أن تَصْحبه في رحلتِه إلى العالمِ الآخر، وأن يُدفنَ في وسطها»[٧٠].

وتُشبه حادثةُ انْهيار المُجلدات على الجاحظِ أن تكونَ مُخْتلقةً، نُسجت بدافعٍ من إشاعةِ الطُّرْفةِ في الحَدَث، فحتّى تَتراءى عنايةُ الجاحظِ بالكتابِ موصُولةً إلى آخر عُمرِه حيكت هذه الحادثةُ لتتلاءمَ مع الواقع، وإنْ كانت على الحقيقةِ تُفارقه، ورُغم أنّ الحادثةَ المُفْتعلةَ تَحْظى للناظرِ بانْسجامٍ ظاهريّ يُرتاحُ إليه أول وهلةٍ، فإنّ التّدقيقَ من وجهةٍ علميّةٍ يدعو الباحثَ إلى عدمِ الاطمئنان إليها أو الوثوقِ بصحتها؛ لغلبةِ الزّيف والتّزويرِ عليها.

فخبرُ الحادثةِ يطرأ فجأةً في بعضِ المُدوّنات التّاريخيّة العائدةِ إلى القرنِ الهجريّ الثّامن، كما في كتاب «المُخْتصر»[٧١] لأبي الفداء، و«تاريخ ابن الورديّ»[٧٢]، ويخفتُ صدى هذا الخبر في المصادرِ حتّى القرنِ الحادي عشر، لنجده في كتاب «شذَرَات الذّهب»[٧٣] لابن العماد الحَنْبليّ. وعن هذه الثّلاثةِ الأسْفارِ صَدَرَ المُعاصرون القائلون بهذا الرّأي، وبات السّوادُ الأعْظمُ من الباحثينَ والمُثقفينَ إذا ما جرَى ذِكرُ الجاحظِ أشاروا إلى جِنايةِ كُتُبه عليه.

ولعلّه يُمكن للدّارسِ أن ينفي وقوعَ هذه الحادثة بما يأتي:

أولاً: هل يُعقلُ أن تسكتَ المصادرُ العربيّةُ المُتقدّمةُ عن حادثةٍ طريفةٍ كهذه نحو خمسةِ قُرون (من القرن الثّالث إلى الثّامن الهجريّ) حتى يأتي بعضٌ المُتأخرين ليتحدّثوا عمّا أطرقَ عنه سابقوهم؟! إنّ ذلك ما تنفيه العادةُ ويُخالفه العُرفُ ويُعارضُه النّظر.

ثانياً: إنّ أحداً من مُعاصري الجاحظِ لم يذكر أنّ وفاتَهُ كانت جَراء سُقُوط خَزانةِ كُتُبه عليه، ولو كان الخبرُ صحيحاً لأدّاه إلينا من شَهدَ وفاته من تلاميذه وأصْدِقائه، كابن قُتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٩١٥م)، والمبُرّد، فضْلاً عن يُموت بن المُزَرّع الذي يُعدُّ مَصَدَراً مُهماً في نقل أخبارِ الجاحظ بسببِ علاقةِ الرّحم التي كانت تَربطهُما.

ثالثاً: تُشيرُ المصادرُ إلى أنّ الخليفةَ المُعْتزَّ تلّقى خبرَ وفاةِ الجاحظ سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م، بعد صِراعٍ طويلٍ مع أمْراضِهِ وعِلله المُزْمنة[٧٤]، بيد أنّ مَصْدراً واحداً من جُملةِ هذه المصادر لم يُشر إلى شيء ممّا تَضمنه خبرُ سُقُوط المُجلداتِ على صَدْره.

رابعاً: لا يُصادفُ الباحثُ حديثاً أو إشارةً أو نَقْلاً من هذا القَبيل في المصادرِ الأساسيّة التي ترجمت للجاحظِ مثل: «مَنْ اسمُهُ عمرو من الشّعراء»[٧٥] لابن الجرّاح (ت ٢٩٦هـ/٩٠٩م)، و«مُروج الذّهب»[٧٦] للمسعوديّ (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، و«الأمالي»[٧٧] للشّريف المُرتضى (ت ٤٣٦هـ/١٠٤٤م)، و«الفِهرست»[٧٨] للنديم (ت ٤٣٨هـ/١٠٤٦م)، و«تاريخ بَغْداد»[٧٩] للخطيب البغداديّ (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، و«الأنْساب»[٨٠] للسمعانيّ (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)، و«تاريخ دِمشق»[٨١] لابن عَسَاكر (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)، و«نُزْهة الألبّاء»[٨٢] لابن الأنْباريّ (ت ٥٧٧هـ/١١٨١م)، و«المُنْتظم»[٨٣] لابن الجَوزيّ (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، و«مُعْجم الأُدباء»[٨٤] لياقُوت الحمويّ (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، و«وفَيات الأعْيان»[٨٥] لابن خَلْكان (ت ٦٨١ه/١٢٨٢م)، وجميعُها ترجعُ إلى ما قبل القرنِ الثّامن.

خامساً: على الرُّغم ممّا ذكره أبو الفِداء وابنُ الورديّ، فإنّ مصادرَ أُخرى أكثر قيمةً وثقةً تعودُ إلى القرن الثّامن تَرْجمت للجاحظِ من غيرِ أن تُوردَ شيئاً ممّا ذكره هذان المُؤرخان في كِتابيهما المذكُورين، ومن هذه المصادر: «سِير أعْلام النُّبلاء»[٨٦] للذهبيّ (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، و«مَسالك الأبْصار»[٨٧] للعُمريّ (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)،

و«الوافِي بالوفيات»[88] للصفديّ (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، و«عُيُون التّواريخ»[88] للكُتبيّ، و«مِرْآة الجِنان»[89] لليافعيّ (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، و«سَرْح العُيُون»[90] لابن نُباتة، و«البِداية والنّهاية»[91] لابن كَثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

سادساً: لم يُصرح أيٌّ من أبي الفِداء وابنِ الورديّ وابنِ العِماد بمَظنّة نقله، ويُشبه بعضُ هؤلاء أن يكونَ حاطبَ ليلٍ ينقلُ من هنا وهناك من غير تمييزٍ أو تدقيقٍ أو عزوٍ إلى المصدرِ الذي أخَذَ عنه.

سابعاً: يَرِدُ خبرُ هذه الحادثة في أول مصدرٍ عربيّ، وهو كتاب «المُخْتصر» لأبي الفِداء، بصيغةٍ تَشِي بمدى ضَعْفِه، وذلك إذ نُدقق في قول أبي الفِداء: «رُوِيَ أنّ موتَهُ كان بوقوعِ مُجلدات عليه»[93]، ومع أنّ الصّياغةَ الأُولى للخبرِ حَملت في طياتها ما يُضعفّه، يُوردُ ابنُ الورديّ[94] وابنُ العِماد[95] الخبرَ عَارياً عن تلك الصّيغةِ المُهمّة في الحُكم عليه قَبولاً أو ردّاً.

ثامناً: تتضمنُ رسالةُ «الجدّ والهزل» التي كتبها الجَاحظُ إشاراتٍ مُهمةً تُفيدُ أنّ مكتبتَهُ لم تكن في مكانٍ واحدٍ، وإنّما كانت مُوزعةً مُتفرقةً في أنْحاء بيته، وأنّها لم تكن مُكدّسةً فوق بعضها على أرُففٍ حتى يسهلَ انهيارُها، وإنّما كانت محفوظةً في قمَاطرَ وصَناديقَ غير متُراكبةٍ فوق بعضِها[96]. وهذه الإشاراتُ مُهمةٌ في الردّ على أبي الفِداء الذي ذَكَرَ أنّ الجاحظَ كان يَصفّ كُتُبه قائمةً كالحائط.

وهكذا يصلُ الدّارسُ إلى مَقْنعٍ بافتعالِ هذه الحكايةِ وعدم صِحتها، وواضحٌ أنّ ذلك لا يُعارضُ أن يكونَ الجاحظُ ظَلّ مُثابراً على القراءةِ والكتابةِ حتى آخر لحَظاته، وأنّ الكتابَ لم يُفارق يدَهُ حتىّ شلّها الموتُ، يقولُ ابنُ أبي الحَديد (ت ٦٥٥هـ/١٢٥٧م): «مات أبو عُثمان والكتابُ على صَدْره»[97]، وقد تكونُ هذه العبارةُ أشْكلت على بعضِ المُؤرخين اللاحقين، فأداهم فهمهُم إلى القولِ إنّ كُتُبَ الجاحظِ سقطت على صَدْره مُسبّبةً وفاته.

وإذا ما تسنّى تعيين سببِ وفاةِ الجاحظ، انتقلَ الحديثُ إلى الجانبِ الآخر المُتمثّل بالحديثِ عن زَمانها. ويبدو للناظرِ في هذه السّبيل أنّ إجماعَ القُدامى يكادُ يَنْعقدُ على جعلِ وفاتِه واقعةً في سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م[98]، وقد وافقهم في ذلك جُلّ المُعاصرين[99]. ويبدو هذا التّاريخ وثيقاً تسندُهُ الوقائعُ والأحداث، ولا يجد الدّارسُ

ما يمنعُ من الاطْمئنانِ إلى صحته، أو ما يدعو إلى القولِ بخِلافه. وإذا ما تقرّر بعد تتبّع الرّوايات أنّ وفاةَ الجاحظ كانت مَحْدودةً بتلك السّنة، أمكن النّظرُ من تعيينِ الشّهرِ أيضاً، إذ دلّت بعضُ الرّوايات على أنّ وفاتَهُ كانت في المُحَرمِ من تلك السّنة[١٠٠]. وهذا يُفْضي إلى القول إنّ الجاحظَ تُوفي في مَطْلعِ السّنة المذكُورة، وفي غُرّةِ شُهورها، لا في نِهايتها كما ذَهَبَ أحدُ المُعاصرين[١٠١]، وليس بين أيدينا بعد ذلك ما يُعيّنُ اليومَ الذي قَضَى فيه الجاحظُ؛ لعدمِ عِناية القُدامى بتحديدِ التّواريخِ الدّقيقةِ للوفياتِ، إلاّ في النّادر.

وإذا ما تسنّى حدّ وفاة الجاحظ بأولِ شُهور سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م، أمكن القولُ إنّ وفاتَهُ كانت في خلافة المُعْتز بالله[١٠٢]، لا في خلافةِ المُهْتدي باللهِ (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) كما ذَهَبَ بعضُهم[١٠٣]، ولعلّ ممّا يُعززُ هذه النّتيجةَ أنّ خبرَ الوفاةِ وَصَلَ إلى البلاط العبّاسيّ والخليفة آنذاك المُعْتز بالله، فأظْهرَ أسَفاً على وفاتِه، وقَالَ: «كُنتُ أُحبُّ أنْ أُشْخصَهُ إليّ، وأنْ يُقيمَ عِنْدي»[١٠٤]. وأمّا خلافةُ المُهْتدي، فقد كانت أواخر تلك السّنة، ومفادُ ذلك أنّ الجاحظَ لم يُدرك خِلافةَ المُهْتدي بالله، وأنّ وفاتَهُ كانت قبل تَولّي هذا الخليفة بشُهورٍ.

وفضْلاً عن هذا التّاريخِ الدّقيق لوفاةِ الجاحظ، ذكرت بعضُ المصادرِ العربيّة تاريخَيْن أُخريين لوفاتِه. أمّا التّاريخُ الأول، وهو سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م، فقد أوْرده نَفرٌ من المُتأخرين أهمهم: الذهبيّ[١٠٥]، والصفديّ[١٠٦]، والكُتبيّ[١٠٧]، وابن تغري بردي[١٠٨] (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، وابن العماد الحَنْبليّ[١٠٩]. ويبدو أنّ هؤلاء ينقلُون هذا التّاريخَ عن الذهبيّ الذي ينقلُ بدورِهِ عن كتاب «الوفيات» للمُحدّث الدّمشقيّ ابن زَبْر الرَّبعيّ[١١٠] (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)، ويُمكن ردّ رِواية ابن زَبْر من وجهيْن: أحدهما أنّ ابنَ زَبْر دمشقيٌّ عاشَ في الشّام[١١١]، وروايتُه تلك تُعارضُ رواياتِ جُل البَغْداديين والبَصْريين ممّن عاشُوا في العراق، وكانُوا على مَقْربةٍ من الجاحظ. وثانيهما أنّ روايةَ ابن زَبْر مُتأخرةٌ نسبياً، وأوثقُ منها روايةُ الذين تقدّموا عصرَهُ كالصّوليّ[١١٢] (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م) والمَسْعوديّ[١١٣]، وقد ذكرا أنّ وفاةَ الجاحظ كانت في سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م. وفضْلاً عن ذلك، فإنّ أكثرَ هؤلاء المُتأخرين لم يذكُروا سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م على سبيلِ القطْعِ والإثْبات، إذ نجدُهم يذكُرونَ إلى جانبِ هذا التّاريخ التّاريخَ الأوْثق، وهو سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م[١١٤]. وربما كان أصْلُ القولِ بهذا التّاريخ

قائماً على سَقْطٍ طَرَأ في التّاريخ الأول «سنة خمس وخمسين ومائتين»، ولعلّ هذا السّقطَ أفَضْى إلى أنّ يصيرَ التّاريخ على هذه الصُّورة «سنة خمسين ومائتين»، وليس بعيداً وقوعُ هذا الأمر بسببِ أخْطاء النّسخ في المَخْطُوطاتِ العربيّة.

ولعلّه يسهُلُ الردّ على القائلين بهذا التّاريخ بما يأتي:

أولاً: إنّ هذيْن التّاريخيْن لم يشيعا إلاّ في المصادرِ العربيّةِ المُتأخرة، وهما بذا يُعارضان ما ذَهَبَ إليه أكثرُ القُدامى، ويُمثلان شُذُوداً عن الإجْماعِ، ومُخالفةً لِلتاريخِ الموثُوق به.

ثانياً: ثمّة إشارةٌ واضحةٌ في رسالةٍ للجاحظِ إلى خَلْع المُعْتزِ المُسْتعينَ(١١٥) (ت ٢٥٢هـ/٨٦٦م)، وقد وقعت هذه الحادثة سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م(١١٦)، ممّا يُشيرُ إلى أنّ الجاحظَ كان على قيدِ الحياةِ بعد أنْ تسلّم المُعْتز مقاليدَ الخِلافة، أي بعد سنة ٢٥٢ه/٨٦٦م.

ثالثاً: أوْردَ ابن عَساكِر بسندهِ إلى أبي دُلف هاشمِ بن مُحمّد الخُزاعيّ إشارةً جليةً تَنُصّ صراحةً على أنّ الجاحظَ حدّث أبا دُلف هذا سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م(١١٧)، ممّا يدلّ على أنّ الجاحظَ عُمّر إلى ما بعد هذه السّنة.

وأمّا التاريخ الثّاني، وهو سنة ٢٥٦ه/٨٧٠م، فقد ذكرَهُ المَسْعوديّ(١١٨)، ونقله ابن حَجر العَسْقلانيّ(١١٩) (ت ٨٥٢ه/١٤٤٨م). ويُمكننا ردّ هذا التّاريخ من وجوه: أولها أنّ المَسْعوديّ أوْردَ هذا التّاريخَ بصيغةٍ تُفيدُ ضَعْفه «وقيل». وثانيها أنّ المَسْعوديّ أوْردَ هذا التّاريخَ عقب التّاريخ الموثُوق، فَقالَ: «وفي هذه السنّة، وهي سنة خمسٍ وخمسينَ ومائتين، وقيلَ ست وخمسينَ ومائتين، كانت وفاةُ عمرو بن بَحْر الجَاحظ»(١٢٠). وثالثها أنّ هذا التّاريخ يُخالفُ ما هو مُجْمَعٌ عليه لدى أكثر الدّارسين القُدامى والمُعاصرين من أنّ وفاةَ الجاحظ كانت في سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م. ورابعها أنّ عدداً من العُلماء نَصّوا على أنّ وفاةَ الجاحظ كانت في خلافة المُعْتز باللهِ الذي نَعَى الجاحظَ وأسِفَ على وفاته(١٢١)، ومعرُوفٌ أنّ خِلافتَهُ انتهت في أواخر تلك السّنة(١٢٢)، ولم تَمتدّ إلى سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م.

وهكذا، يُمكن بعد مُناقشة هذه الرّوايات أنْ نُرشح سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م تاريخاً

وحيداً ودقيقاً فارقَ فيه الجاحظُ الدُّنيا، بعد أن دانى مئة عام.

وإذا ما عَدّينا إلى الحديثِ عن الجانبِ الثّالث المُتمثّل بالمكان، ألفينا أكثرَ الذين تَرجمُوا للجاحظِ يُضْربُون عن ذكر المكانِ الذي تُوفي فيه(١٢٣)، وإنْ يكن بعضُهم صرّح أنّه ماتَ في مدينةِ البَصْرة(١٢٤)، وهو ما قَبِلَهُ نفرٌ من المُعاصرين(١٢٥)، على أنّ فريقاً منهم لم يَعْبأ بالحديثِ عن مكانِ وفاةِ الجاحظ شأنهم في ذلك شأن أكثرِ القُدامى الذين أخْلَو تَراجمهم للجاحظِ من ذكر المكانِ الذي قَضَى فيه.

وبهذا يَتَراءى أنّ البَصْرة هي المكانُ الذي يتحدّث عنه القُدامى والمُعاصرون، وليس ثمّة حديثٌ عن مكانٍ آخر لوفاة الجاحظ سوى روايةٍ غريبةٍ ساقها السيد أحمد الهاشميّ، وجاء فيها: «كان الجاحظُ كثيرَ الانْتجاع للخُلَفاء ببغدادَ وسُر مَنْ رأى حتّى فُلج بالبَصْرة، وبقي مفلُوجاً مُدّةً إلى أن انتقلَ إلى بغدادَ فماتَ بها، ودُفِنَ بمقبرةِ الخَيْزران أُم الرّشيد»(١٢٦). وتبدو هذه الرّوايةُ غريبةً حَقّاً، وغرابتُها آتيةٌ من وجوهٍ: أولها مُخالفةُ المعروفِ من أنّ وفاةَ الجاحظ كانت حيثُ مولدُهُ في البَصْرة. وثانيها أنّ إصابةَ الجاحظ بالفالجِ كانت بالبَصْرة، مع أنّ الرّاجحَ أنّه فُلج أثناءَ تردّده على بغدادَ وسَامراء. وثالثها أنّ الرّواية تعكسُ خطَّ سيرِ الجاحظ، إذ إن المعروفَ أنّ الجاحظ عادَ في أواخرِ خِلافة المُتوكّل إلى البَصْرة ولم يَبْرحها حتى نَزلَ به القضاءُ، وأمّا ما جاء من أنّ الجاحظَ تركَ البَصْرة إلى بغدادَ، فليس ثمّة ما يشهدُ له. ورابعها أنّ الرّواية تُسمى المقبرةَ التي دُفن فيها الجاحظُ، وهو تعيينٌ ليس في الرّواياتِ التي ساقها القُدامى ما يُعزّزه.

ولا يَعْدمُ الباحثُ الشّواهدَ التي تُؤكدُ أنّ وفاةَ الجاحظِ كانت في البَصْرة، ومنها أنّ الخليفةَ المُتوكّل وجّه إلى هذه المدينة في سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م، أي قبل وفاةِ الجاحظِ بتسعِ سنوات، من ينقلُهُ ليُقيمَ في حَضْرته، فأبْدى الجاحظُ شَديدَ اعتذارِهِ؛ لما يُعانيه من مرضٍ مُقْعدٍ فرضَ عليه عدمَ الرّحيلِ والانْتقال(١٢٧)، ومفادُ هذه الرّواية أنّ الجاحظَ ظلّ مُلازماً البَصْرةَ ولم يُغادرها، على الرّغم من أنّ الطّلبَ كان من الخليفةِ نفسه. ومن تلك الشّواهد ورودُ الإشارةِ إلى أنّ الجاحظَ كان عَليلاً في البَصْرة عندما زاره بعضُهم في أواخرِ حياته(١٢٨). وأخيراً، فإنّ عبارةَ الخليفة المُعْتز حين تلقى نبأ وفاةِ الجاحظ: «كُنْتُ أُحبُّ أَنْ أُشْخصَهُ إليّ، وأنْ يُقيمَ عِنْدي»(١٢٩)

توحي أنَّ الجاحظَ لم يكن مُقيماً حينَ وفاتِهِ في عاصمةِ الدولَة، وهو ما يؤيدُ أنَّه كان يَقْضي آخر أيامِهِ في البَصْرة.

ولا بدَّ قبل طي هذه الصَّفحةِ من سيرةِ الجاحظِ أنْ نَتبيَّنَ الأثرَ الذي تركَهُ رحيلُهُ عندما صكَّ أسْماعَ مُعاصريه، ويكادُ الباحثُ في هذا السِّياقِ يُفاجأ إذ يَلْقاه صدًى خافتٌ لا يُلاءمُ المكانةِ الرّفيعةِ التي كان الجاحظُ يتبوأها في حياته، ويتساءلُ المرءُ من ثَمَّ هل أخلّت المصادرُ العربيّةُ في الوفاءِ بحقٍّ هذا الرّجل، فجاء أثرُ وفاتِهِ فاتِراً على ذلك النّحو اللافتِ الذي نُصادفه؟!

كان الجاحظُ عَلَماً من أعْلامِ عصرِهِ، وكانت تعرفُهُ فئاتُ المُجتمع العبّاسيّ على اخْتلافها، وكما يقولُ مُعاصره ثابت بن قُرّة (ت ٢٨٨هـ/٩٠١م): «الخُلفاء تعرفُهُ، الأُمراءُ تُصافيه وتُنادمه، والعُلماءُ تأخذُ عنه، والخاصةُ تُسلّمُ له، والعامةُ تُحبُّه»(١٣٠)، أتراهُ كان مُمكناً أن تمرّ وفاةُ هذا الرّجلِ ذي المنزلة السّنيّة على هذه الشّاكلة الصّامتةِ التي يُعاينها الدّارسُ وهو يُقلّبُ المصادرَ العربيّةَ التي تحدّثت عنه؟!

وتدورُ في هذا الصّدد تساؤلاتٌ أُخرى تُثيرُ ألواناً من الدّهشةِ والحَيْرة، منها أنّ وفاةَ الجاحظِ وقعت في حياةِ عددٍ كبيرٍ من الشّعراءِ الذين عاصروه وكانوا على صلةٍ به، كأبي هِفّان (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م)، وأبي علي البَصير (ت بعد ٢٥٨هـ/ بعد ٨٧٢م)، ويزيد بن مُحمّد المُهلبيّ (ت نحو ٢٥٩هـ/ نحو ٨٧٣م)، وسَعيد بن حمُيد (ت بعد ٢٦٠هـ/ بعد ٨٧٣م)، والحمدويّ (ت ما بين ٢٦٠-٢٧٠ه/ ما بين ٨٧٣-٨٨٣م)، والحَسَن بن وهب (ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م)، وخالد الكاتب (ت ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م)، وسُليمان بن وهب (ت ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م)، وعلي بن يَحْيى المُنجّم (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، وابن أبي فنن (ت بعد ٢٧٨هـ/بعد ٨٩١م)، وإبراهيم بن المُدبّر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، وأبي العَيْناء (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م)، وابن الرُّوميّ (ت ٢٨٣هـ/٨٩٦م)، وابن أبي دُلَف (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) وغيرهم، بيدَ أنّ هؤلاء جميعاً سكتُوا عن هذه الحادثة، كما يدلُّ على ذلك خلو دَواوينهم ومجاميعِ أشْعارهم المنْشورة من رِثاءِ الجاحظ أو تأبينه، على الرّغم من أنّ أكثرَهم كان يمتّ إلى الجاحظِ بصَداقةٍ وعلاقةٍ طيبة(١٣١)، فضْلاً عن أنّ بعضَهم كانَ مُقيماً في البَصْرةِ يومَ أنْ جاء نعيُ الجاحظ، فهل يُعقلُ أن شَاعراً وفيّاً من هؤلاء لم تهيأ له أن يَرثي الجاحظَ مُشيداً بمناقِبهِ العلميّةِ والفكريّةِ، وهل عزَّ خُلان

الجاحظ وأصْدقاؤه الذين ترددّوا عليه إبانَ علّته، وهل كان الجاحظُ سيئَ الحظّ حتىّ يحظى مُعاصروه الذين لم يضربُوا بسَهمِه في العِلْمِ بقَصائدِ الرّثاءِ والتّأبينِ الحارّة، بينما لا يكادُ هو على شُهرته وألمعيته ينالُ شيئاً من ذلك؟!

وفضْلاً عن الشّعر والشّعراء، كان الجاحظُ يُعاصرُ ثلاثةً من كِبار مُصنفي العربيّة في القرن الثّالث، وهم: ابن قُتيبة، وابن طَيفْور (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، والمُبرّد، وجميعهم كان درسَ على الجاحظِ وتخرّجَ به، بيد أنّ واحداً منهم لم يعلّق على رحيلِ الشّيخ، وما نجمَ عنه من خَسارةٍ للعلمِ والأدبِ والمعرفة، وهل عسانا نقولُ من ثَمّ إنّ الجاحظَ كان سيءَ الحظّ مرةً أُخرى حتّى لا يقولَ تلاميذُه في حقّه كلمةَ وفاءٍ وذكْرى؟! ألم يجد الجاحظُ من يتحدّثُ عن وفاتِه، ويصفُ ملامحَ الحُزن التي ارْتسمت على وجوه مُريديه إبانَ فراقه؟!

ولا يكادُ النّاظرُ من بعدُ يلقاه سوى بعض الأصْوات التي تردّد صداها على وفاةِ الجاحظ، وأعلاها صوتٌ رسميّ جرى على لِسانِ الخليفة العبّاسيّ الذي تناهى إليه خبرُ الوفاةِ، يقولُ الشّاعر يزيد بن مُحمّد المُهلبيّ: «قال لي المُعْتز بالله: يا يزيدُ ورد الخبرُ بموتِ الجاحظ، فقلتُ: لأميرِ المؤمنين طُولُ البقاء ودوامُ العزّ، قالَ وذلك في سنة خمسٍ وخمسين، وقال المُعْتز: لقد كنتُ أُحبُّ أن أُشْخصه إليّ، وأن يُقيمَ عنْدي. فقلتُ له: إنّه كان قبلَ موتِه عَطلاً بالفَالج»(١٣٢). وهذه الرّوايةُ، وإنْ كانت تحملُ في جَوفها دِلالةً على حالةِ الأسى التي انْتابت الخليفةَ جرّاءَ رحيلِ الجاحظ، فإنّ ظاهرَها يخلو من عِباراتِ التّرحم والاسْترجاع المُتوقعة في مثلِ هذا الموقف، بل إنّ المُهلبيّ لم يُعلّق على الوفاةِ بمَحْضِ كلمةٍ، ويُلاحظُ جليّاً أنّه عِوضاً عن الدّعاء للميت (الجاحظ)، مضى المُهلبيّ يدعو للحي (الخليفة)، مُتناسياً المِحورَ الرّئيس للحديث. وأمّا عبارةُ الخليفة: «كنتُ أُحبُّ أن أُشْخصه إليّ، وأنْ يُقيمَ عندي»(١٣٣) فلعلّها كانت رَغبةً في مُكافأةِ رجلٍ طالما نَذَرَ قلمَهُ في سَبيل تمجيدِ العبّاسيين والدّفاعِ عن أنْظارِهم في كثيرٍ من القضايا السياسيّة.

وإلى جانبِ هذا الصّوت الرسميّ، نسمعُ صوتاً خافتاً يردّده شاعرٌ مَغْمُور وصِفَ بأنّه كان ذا «لُوثَةٍ وهَوَج»(١٣٤)، هو أبو شُرَاعة القيسيّ، يقولُ في أبياتٍ له يَرْثي أبا عُثمان(١٣٥):

في العِلـــمِ للعُلمــاءِ، إنْ يَتَفـهَّـمـوهُ ، مَـوَاعِــــظُ
وإذا نَسـيتَ وقد جَـمَعْـ تَ ، عـلا عَليكَ الحَـافِظُ
ولقـد رَأيتُ الظُّرْفَ دَهــ راً ، مَـا حَـوَاه اللافـــظُ
حـتّى أقَـــــامَ طَريقَــهُ عَـمرُو بن بَحْـرِ الجَـاحظُ
ثُمّ انْقَـضى أمَــدٌ بِــهِ وهــــو الرّئيـسُ الفـائِظُ

وواضحٌ أنّ مقطوعةَ أبي شُراعة تُشيدُ بالجاحظ، وتُثنى على مكانته العلميّة، وتُشيرُ إلى مَنْزلتِه بين العُلماء، وما كان حازَهُ من براعةٍ وحذقٍ نادرَيْن، تميّز بهما على أُدباء عصرِه حتّى غدا شيخَهم المُقدّم. ويُلمعُ الشّاعرُ إلى أثر الجاحظِ في إقامةِ سَبيلِ الأُسلوبِ العربيِّ المَتين، وما أنْفقهُ من عُمرٍ طويلٍ في خدمةِ الآدابِ والعُلُوم. ولعلَّ الشّـاعر عنى بـ«الظّرف» الذي افْتقده في مُعاصريه ما انْمازَ به الجاحظُ من أُسلوبٍ رشيقٍ مُشرقٍ قـائمٍ على حُسنِ العِبـارةِ وجمَالها، وربّما أيد ذلك الأصْلُ اللغويُّ لهذه الكلمة، فهو يُفيدُ البلاغةَ والبراعةَ والذّكاءَ وحُسنَ العبارة(١٣٦). ولا إخالُ أنّ الشّاعر أرادَ بـ«الظّرف» ههنا ما عُرِفَ عن الجاحظِ من فُكاهةٍ وسُخريةٍ ودُعابةٍ وتَندّرٍ، لأنّه ليس ممّا يُناسبُ مقامَ الرّثاء.

وإذا كـانت أبيـاتُ أبي شُـراعـة هذه تَسْـتـذكـرُ بَعْض مـآثرِ الجـاحظِ العلميّـةِ والشّخصيّة، فإنّها تتراءى من الوِجْهة الفنيّة ضَعيفةً مُهلْهلةً، فضْلاً عما يبدو من فُتُورِ العاطفةِ التي ينبغي أنْ تكونَ مُتوقّدةً في الرّثاء. كما أنّ ركّة المَقْطوعة وضَعْفَ بِنْيتِها جعلها أقربَ إلى النّظم، ولعل ممّا يزيدُ الدّارسَ قَناعةً بالحُكمِ على رَداءة هذه الأبْيات أنّ الشّاعر لم يُحسن اخْتيار قَوافيه، بل عمدَ إلى صناعتها على رَوي "الظّاء" لُتناسبَ كلمة "الجاحظ" الواردة في البيتِ الرّابع، ممّا أضْعفَ الإيقاعَ ضَعْفاً بيّناً. وأحسبُ أخيراً أنّ بُرودةَ الأبْياتِ وخُلُوها من التّصويرِ أحالها إلى شِعْرٍ جافٍ لا يمُكن وصفُهُ بالرّثاء.

ولسنا بعد ذلك نعرفُ شيئاً من مُلابساتِ صلةِ أبي شُراعةَ بالجاحظِ سوى ما جاءَ من خبرِ هذه الأبْيات، والملاحظُ أنّ ترجمةَ هذا الشّاعر في كتابِ «الأغانـي»(١٣٧) لا تُشيرُ إلى شيءٍ من خُيوطِ هذه الصلّة، كما أنّ أبياته الآنفة في اسْتذكارِ الجاحظ لم ترِد في جُملة ما اختاره أبو الفرج الأصْفهانيّ من شِعره، وبالمثل خلى مجموعُ

شعره المنشور حديثاً من هذه المقطوعة أيضاً[١٣٨]. ومهما يكن، فالمُتوقعُ أنّ تكونَ نوادي البَصْرة ومُجالسها جمعت كلا الرّجلين حين عاد الجاحظُ إلى مدينتِهِ في أواخرِ عهد المُتوكّل، ويبدو أنّ علاقةَ الجاحظِ بأبي شُراعةَ كانت قويةً ماسةً لم تقف عند أبي شُراعةَ نَفْسه حتّى امتدت إلى بعضِ أبنائه، كما يُمكن أنْ تدلّ عليه إشارةُ الشّريف المُرتضى إلى انْعقادِ صلةٍ طيبةٍ بين الجاحظ وسَوّار بن أبي شُراعة[١٣٩]، وإشارة الخطيب البغداديّ إلى أخذ سوّار بعض عُلُومه عن الجاحظ[١٤٠].

الحواشي.

(١) الخطيب البغداديّ: أبو بكر، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م): تاريخ بغداد، مصورة عن طبعة الخانجيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، د.ت. ج١٢/٢١٩، والسمعانيّ: أبو سعد، عبدالكريم بن محمّد التميميّ (٥٦٢هـ/١١٦٦م): الأنساب، تقديم وتعليق: عبدالله عمر الباروديّ، دار الجنان، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ج٢/٧، وابن عساكر: أبوالقاسم، علي بن الحسن الشافعيّ (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة العمرويّ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥-١٤١٦هـ/ ١٩٩٥-١٩٩٦م. ج٤٥/٤٤٣، وابن الأنباريّ: أبو البركات، كمال الدّين، عبد الرّحمن بن محمّد (ت ٥٧٧هـ/١١٨١م): نُزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائيّ، مكتبة المنار، الطبعة الثالثة، الزرقاء، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ص١٥٠، وابن الجوزيّ: أبو الفرج، جمال الدّين، عبدالرّحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المُنتظم في تواريخ الملوك والأمم، تحقيق: سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ه/١٩٩٥م. ج٧/٨٣، وياقوت الحمويّ: أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم الأدباء، نشره: أحمد فريد الرفاعيّ، مكتبة عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م. ج١٦/١١٣، وابن خلكان: أبوالعباس، شمس الدّين، أحمد بن محمّد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت. ج٣/٤٧٣، وأبو الفداء: إسماعيل بن علي الأيوبيّ (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): المُختصر في أخبار البشر، علّق عليه: محمُود ديّوب، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. ج١/ ٣٦٤، والعُمريّ: شهاب الدّين، ابن فضل الله أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، طبع بالتصوير عن مخطوطة أحمد الثالث المحفوظة بإستانبول، رقم (٢٧٩٧/٤)، إصدار: فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربيّة والإسلاميّة، فرانكفورت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ج٧/٣١٩، وابن الورديّ: زين الدّين، عمر مُظفر (ت٧٤٩هـ/١٧٤٨م): تاريخ ابن الورديّ، المطبعة الحيدريّة، الطبعة الثانية، النجف، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م. ج١/٣٢١-٣٢٢، والصفديّ: صلاح الدّين، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، نُسخة خطيّة محفوظة في مكتبة أحمد الثّالث بإستانبول، رقم (٢٩٢٠). ج٢٣/ الورقة ٥٩، والكتبيّ: محمّد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م): عُيون التّواريخ، نُسخة خطيّة محفوظة في المكتبة الوطنيّة بباريس، رقم (١٥٨٨). ج ٨/ الورقة ١٥٨، واليافعيّ:

أبو محمّد، عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان، نشره: خليل المنصور، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. ج٢/١٢٢، وابن كثير: عماد الدّين، إسماعيل بن عُمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، نشره: عبدالرحمن اللادقيّ ومحمّد غازي بيضون، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. ج١١/٢٥، والدميريّ: كمال الدّين، محمّد بن موسى (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) : حياة الحيوان الكُبرى، صحّحه: عبداللطيف بيتية، دار إحياء التراث العربيّ، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ج١/١٧٠، والخوانساريّ: محمّد بن باقر الموسويّ (ت ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م): روضات الجنات في أحوال العلماء والسّادات، الدار الإسلاميّة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م. ج٥/٣١١.

(٢) المسعوديّ: أبو الحسن، علي بن الحسن (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مُروج الذّهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة الإسلاميّة، بيروت، د.ت. ج٤/١٩٦، وابن حجر العسقلانيّ: أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): لسان الميزان، دار الكتاب الإسلاميّ، الطبعة الأُولى، القاهرة، د.ت. ج٤/٣٥٥.

(٣) القالي: أبوعلي، إسماعيل بن القاسم البغداديّ (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م): الأمالي، المكتبة التجاريّة الكُبرى، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م. ج١/٥٠، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٢-٤٤٣.

(٤) انظر: الجاحظ: أبو عُثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م): رسائل الجاحظ، تحقيق: عبدالسّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجيّ، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٨٤-١٣٩٩هـ/١٩٦٤-١٩٧٩م. ج١/٢٤٨-٢٤٩.

(٥) ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء: ج١٦/٧٥، والعمريّ، مسالك الأبصار: ج٧/٣١٢.

(٦) الشريف المُرتضى: علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ/١٠٤٤م): الأمالي (غُرر الفوائد ودُرر القلائد)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م. ج١/١٩٤.والنديم: أبوالفرج، محمّد بن أبي يعقوب (ت ٤٣٨هـ/١٠٤٦م): الفهرست، نشره: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. ص٢٩١، وياقوت الحمويّ، معجم الأدباء: ج١٦/٥٧، والعمريّ، مسالك الأبصار: ج٧/٣١٢، والصفديّ، الوافي بالوفيات: ج٢٣/ الورقة ٥٦، و الكتبّي، عُيون التواريخ: ج٨/ الورقة ١٥٤.

(٧) الجاحظ: أبو عُثمان، عمرو بن بحر (٢٥٥هـ/٨٦٩م): الحيوان، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبيّ، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م. ج١/٣٨-٤٢.

(٨) انظر: الجاحظ، رسائل الجاحظ (تحقيق هارون): ج١/٢٥٢.

(٩) انظر: المصدر نفسه: ج١/ ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٧٢، ٢٧٤، ج٢/٢١٥.

(١٠) الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٥، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٣٩، وياقوت الحمويّ، معجم الأدباء: ج١٦/٨٩، والصفديّ، الوافي بالوفيات: ج٢٣/ الورقة ٥٨، والكتبيّ، عُيون التواريخ: ج٨/ الورقة ١٥٥، وابن نباتة: جمال الدّين، محمّد بن محمّد (ت

٧٦٨هـ/١٣٦٦م): سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ص ٢٥٩.

(١١) انظر: الشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩، والحصريّ: أبو إسحاق، إبراهيم بن علي القيروانيّ (ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م): جمع الجواهر في المُلَح والنوادر، تحقيق: علي محمّد البجاويّ، دار الجيل، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٠٦١م. ص٢٠٣-٢٠٤، والخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/ ٢١٣، ٢١٧، ٢١٩، والسمعانيّ، الأنساب: ج٢/٧، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٣، وابن الجوزيّ، المنتظم: ج٧/٨٣، واليافعيّ، مرآة الجنان: ج٢/٢٢، وابن نباتة، سرح العيون: ص ٢٥٣

(١٢) انظر: المسعوديّ، مروج الذهب: ج٤/١٩٦، والقالي، الأمالي: ج١/٥٠، والشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩، والنديم، الفهرست: ص٢٩٢، والخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩، والسمعانيّ، الأنساب: ج٢/٧، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٢، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٥٠، وابن الجوزيّ، المنتظم: ج٧/٨٣، وياقوت الحمويّ، معجم الأدباء: ج١٦/١٠٤، ١١٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٣/٤٧٤، و أبو الفداء، المُختصر في أخبار البشر: ج١/ ٣٦٤، وابن الورديّ، تاريخ ابن الوردي : ج١/٣٢١، واليافعيّ، مرآة الجنان: ج٢/١٢٢، وابن كثير، البداية والنهاية: ج١١/٢٥، والدميريّ، حياة الحيوان: ج١/١٧٠، وابن العِماد: أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد الحنبليّ (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمُود الأرناؤوط، أشرف على تحقيقه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ج٣/٢٣٢.

(١٣) انظر: الشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩، وياقوت الحمويّ، معجم الأدباء: ج١٦/١١٣.

(١٤) انظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩، والسمعانيّ، الأنساب: ج٢/٧، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٥٠، وابن الجوزيّ، المنتظم: ج٧/٨٣، وياقوت الحمويّ، معجم الأدباء: ج١٦/١١٣، وابن الورديّ، تاريخ ابن الوردي: ج١/٣٢١.

(١٥) انظر: محمّد محمُود الدروبيّ، آثار الجاحظ (دراسة توثيقيّة)، رسالة ماجستير، كلية الدّراسات العُليا، الجامعة الأُردنيّة، عمّان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ص ٦٨.

(١٦) الجاحظ: أبو عُثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م): البخلاء، تحقيق: طه الحاجريّ، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م. ص ١٢٣.

(١٧) انظر: محمّد محمُود الدروبيّ، آثار الجاحظ (دراسة توثيقيّة): ص ١١٦.

(١٨) الجاحظ، رسائل الجاحظ (تحقيق هارون): ج٣/٢٠٨.

(١٩) انظر: محمّد محمُود الدروبيّ، آثار الجاحظ (دراسة توثيقيّة): ص ٩١.

(٢٠) الجاحظ، الحيوان: ج٤/٢٠٨.

(٢١) انظر: القالي، الأمالي: ج١/٥٠، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٢، وياقوت الحمويّ،

معجم الأُدباء: ج١٦/١٠٣-١٠٤.

(٢٢) القالي، الأمالي: ج١/٥٠، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٢، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١٠٤.

(٢٣) انظر: القالي، الأمالي: ج١/٥٠، والشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٢، وياقوت الحموي، معجم الأُدباء: ج١٦/١٠٤.

(٢٤) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٣٣، وشوقي ضيف، العصر العباسيّ الثانيّ، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. ص٥٩١، وشارل بلا، الجاحظ، ترجمة: إبراهيم الكيلانيّ، دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م. ص٣٧٠، وطه الحاجريّ، الجاحظ (حياته وآثاره)، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م. ص ٣٥٦.

(٢٥) انظر: ابن أبي أُصيبعة: أبو العباس، موفق الدّين، أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م): عُيون الأنباء في طبقات الأطباء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت. ص٢٥٣-٢٥٤.

(٢٦) انظر: المسعوديّ: أبو الحسن، علي بن الحسن (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): التنبيه والإشراف، مكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ص ٣٣٦.

(٢٧) انظر: ابن أبي أُصيبعة، عُيون الأنباء: ص ٢٥٥.

(٢٨) انظر: الكتبيّ، عُيون التواريخ: ج٨/ الورقة ١٥٧-١٥٨، وابن نباتة، سرح العيون: ص٢٥٣-٢٥٤.

(٢٩) انظر: طه الحاجريّ، الجاحظ (حياته وآثاره): ص ٤٤٧.

(٣٠) انظر: الجاحظ: أبو عُثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م): البُرصان والعُرجان، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مصورة عن الطبعة المصريّة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. ص٤٣٥-٤٥١.

(٣١) الشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩، والنديم، الفهرست: ص٢٩٢، والخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٦/١١٣، والسمعانيّ، الأنساب: ج٢/٧، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٥٠، وابن الجوزيّ، المنتظم: ج٧/٨٣، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٣.

(٣٢) الجاحظ، رسائل الجاحظ (تحقيق هارون): ج٣/١١٤.

(٣٣) انظر: الثعالبيّ، أبو منصور، عبد الملك بن محمّد (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م): ثمار القلوب في المُضاف والمنسوب، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ص١٨٥-١٨٦.

(٣٤) انظر: الكتبيّ، عُيون التواريخ: ج٨/ الورقة ١٥٨، وابن نباتة، سرح العيون: ص ٢٥٤.

(٣٥) انظر: ابن أبي أُصيبعة، عُيون الأنباء: ص٢٥٣-٢٥٤.

(٣٦) المسعوديّ، مروج الذهب: ج٤/١٩٦، وابن حجر العسقلانيّ، لسان الميزان: ج٤/٣٥٥.

(٣٧) الشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩، والنديم، الفهرست: ص٢٩١-٢٩٢، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٤، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٣/٤٧٣، والصفديّ، الوافي بالوفيات: ج٢٣/ الورقة ٥٩، واليافعيّ، مرآة الجنان: ج٢/١٢٢، والدميريّ، حياة الحيوان: ج١/١٧٠.

(٣٨) انظر: المسعوديّ، مروج الذهب: ج٤/١٩٦، واليافعيّ، مرآة الجنان: ج٢/١٢٢، الدميريّ، حياة الحيوان: ج١/١٧٠، وابن العماد، شذرات الذهب: ج٣/٢٣١-٢٣٢.

(٣٩) انظر: الحصريّ، جمع الجواهر: ص٢٠٣-٢٠٤، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٣/٤٧٤، وابن نباتة، سرح العيون: ص٢٥٤-٢٥٥، واليافعيّ، مرآة الجنان: ج٢/١٢٣.

(٤٠) انظر: الشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩، والنديم، الفهرست: ص٢٩٢، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٣/٤٧٣، واليافعيّ، مرآة الجنان: ج٢/١٢٢.

(٤١) انظر: الجاحظ، رسائل الجاحظ (تحقيق هارون): ج١/٢٥٢.

(٤٢) انظر: محمّد محمُود الدروبيّ، آثار الجاحظ (دراسة توثيقيّة): ص٢٣٨-٢٣٩.

(٤٣) انظر: محمّد محمُود الدروبيّ، رسالة جديدة للجاحظ في الهجاء، مجلة المنارة -جامعة آل البيت- المجلد الرابع، العدد الثالث، المفرق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. ص٥٩-١٠٠.

(٤٤) انظر: محمّد محمُود الدروبيّ، آثار الجاحظ (دراسة توثيقيّة): ص١٤٠-١٤١.

(٤٥) ياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٣. وانظر: القالي، الأمالي: ج١/٥٠، والشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩، والحصريّ، جمع الجواهر: ص٢٠٣، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٢.

(٤٦) ابن نباتة، سرح العيون: ص٢٥٣.

(٤٧) انظر: الشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩، والنديم، الفهرست: ص٢٩١، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٣.

(٤٨) انظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٣، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٥٠، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٣.

(٤٩) انظر: الحصريّ، جمع الجواهر: ص٢٠٣-٢٠٤، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٣/٤٧٣-٤٧٤، والكتبيّ، عُيون التواريخ: ج٨/ الورقة ١٥٨، وابن نباتة، سرح العيون: ص٢٥٤-٢٥٥، واليافعيّ، مرآة الجنان: ج٢/١٢٢.

(٥٠) انظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٣، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٣.

(٥١) انظر: الشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩.

(٥٢) انظر: المصدر نفسه: ج١/١٩٩، والنديم، الفهرست: ص٢٩٢، والخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩، والسمعانيّ، الأنساب: ج٢/٧، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٥٠، وابن

الجوزيّ، المنتظم: ج٧/٨٣، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٣، وأبو الفداء، المُختصر في أخبار البشر: ج١/٣٦٤.

(٥٣) انظر: القالي، الأمالي: ج١/٥٠، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٢، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٤.

(٥٤) انظر: المسعوديّ، مروج الذهب: ج٤/١٩٦، وابن نباتة، سرح العيون: ص ٢٥٣.

(٥٥) انظر: الشريف المرتضى، الأمالي: ١/١٩٩، والحصريّ، جمع الجواهر: ص٢٠٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/٤٧٤، والكتبيّ، عيُون التاريخ: ٨/ الورقة ٢٥٨، وابن نباتة، سرح العيون: ص٢٧٤-٢٥٥، واليافعيّ، مرآة الجنان: ٢/١٢٢.

(٥٦) انظر: ابن نباتة، سرح العيون: ص ٢٥٣.

(٥٧) انظر: الحصريّ، جمع الجواهر: ص٢٠٣ -٢٠٤، والخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٣، ٢١٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٢-٤٤٣، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٥٠، وابن الجوزيّ، المنتظم: ج٣/٨٣، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٣/٤٧٤، وأبو الفداء، المُختصر في أخبار البشر: ج١/٣٦٤، وابن الورديّ، تاريخ ابن الورديّ: ج١/٣٢١، واليافعيّ، مرآة الجنان: ج٢/١٢٢-١٢٣، وابن نباتة، سرح العيون: ص٢٥٤-٢٥٥.

(٥٨) الشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩.

(٥٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٣/٤٧٣-٤٧٤، وانظر: الحصريّ، جمع الجواهر: ص٢٠٣، واليافعيّ، مرآة الجنان: ج٢/١٢٢، وابن نباتة، سرح العيون: ص٢٥٤.

(٦٠) النديم، الفهرست: ص٢٩١، والخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٣.

(٦١) انظر: الجاحظ، أبو عُثمان، عمرو بن بحر (٢٥٥هـ/٨٦٩م): مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق: طه الحاجريّ، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ص٢٠، ٢٦-٢٧.

(٦٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٣/٤٧٤، والكتبيّ، عيُون التواريخ: ج٨/الورقة ١٥٨، وابن نباتة، سرح العيون: ص٢٥٩، واليافعيّ، مرآة الجنان: ج٢/١٢٣.

(٦٣) أبو الفداء، المُختصر في أخبار البشر: ج١/٣٦٤.

(٦٤) ابن الورديّ، تاريخ ابن الورديّ: ج١/٣٢٢.

(٦٥) ابن العماد، شذرات الذهب: ج١/٣٢٢.

(٦٦) انظر جورج غريب، الجاحظ (دراسة عامة)، دار الثقافة، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م. ص ١٤-١٦. وخير الدّين الزركليّ، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة التاسعة، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. ج٥/٧٤، وشارل بلاّ، الجاحظ: ص ٣٦٨، وشوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربيّ، دار المعارف، الطبعة العاشرة، القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ص١٦٠. وعبد السّلام

محمّد هارون، مقدمة تحقيق الحيوان: ج١/٥، وعلي أبو ملحم، كشاف آثار الجاحظ، نُشر مُلحقاً برسائل الجاحظ الكلاميّة، دار الهلال، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. ص ٣٤، وعلي شلق، مراحل تطور النثر العربيّ في نماذجه، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. ج٢/ ٢٩٩، وعمر الدّقاق، ملامح النثر العباسيّ، دار الشرق العربيّ، بيروت، د.ت، ص ١٤٨، وفوزي عطوي، الجاحظ دائرة معارف عصره، الشركة اللبنانيّة للكتاب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣١١هـ/ ١٩٩١م. ص ١٦، ومحمّد عبدالمنعم خفاجي، أبو عُثمان الجاحظ، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، د.ت. ص ٢٥٩. ومحمّد كُرد علي، عمرو بن بحر الجاحظ (مُستل من أُمراء البيان)، دار المعارف، سوسة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. ص ١٩. ونوري جعفر، الجوانب السيكولوجيّة في أدب الجاحظ، دار الرّشيد، بغداد، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ص ٩.

(٦٧) عبدالسّلام محمّد هارون، مقدمة تحقيق كتاب الحيوان: ج١/ ٥٠.

(٦٨) شوقي ضيف، الفن مذاهبه في النثر العربيّ: ص ١٦٠.

(٦٩) شارل بلا، الجاحظ: ص ٣٦٨.

(٧٠) محمّد عبد المنعم خفاجي، أبو عُثمان الجاحظ: ص ٢٥٩.

(٧١) ج١/ ٣٦٤.

(٧٢) ج١/ ٣٢١-٣٢٢.

(٧٣) ج٣/ ٢٣٢.

(٧٤) انظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٣.

(٧٥) ص٢٠٥-٢٠٦.

(٧٦) ج٤/ ١٩٥-١٩٧.

(٧٧) ج١/ ١٩٤-١٩٩.

(٧٨) ص٢٩١-٢٩٦.

(٧٩) ج١٢/ ٢١٢-٢٢٠.

(٨٠) ج٢/ ٦-٧.

(٨١) ج٤٥/ ٤٣١-٤٤٤.

(٨٢) ص١٤٨-١٥١.

(٨٣) ج٧/ ٨٢-٨٤.

(٨٤) ج١٦/ ٧٣-١١٤.

(٨٥) ج٣/٤٧٠-٤٧٥.

(٨٦) ج١١/٥٢٦-٥٣٠.

(٨٧) ج٧/ ٣١١-٣٣٣.

(٨٨) ج٢٣/ الورقة ٥٦-٦٠.

(٨٩) ج٨/ الورقة ١٥٤-١٥٨.

(٩٠) ج٢/١٢٠-١٢٣.

(٩١) ص٢٤٨-٢٦٠.

(٩٢) ج١١/٢٥.

(٩٣) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر: ج١/٣٦٤.

(٩٤) انظر: ابن الورديّ، تاريخ ابن الورديّ: ج١/٣٢٢.

(٩٥) انظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ج٣/٢٣٢.

(٩٦) انظر: رسائل الجاحظ (تحقيق هارون): ج١/٢٤٦-٢٤٨.

(٩٧) ابن أبي الحديد: أبو حامد، عزّ الدين بن هبة الله المدائنيّ (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٧م): شرح نهج البلاغة، ضبطه وصححه: محمّد عبد الكريم النمريّ، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأُولى، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ج٢٠/٩٠.

(٩٨) انظر: المسعوديّ، مروج الذهب: ج٤/١٩٥، والشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩، والنديم، الفهرست: ص٢٩١، ٢٩٣، والخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩، ٢٢٠، والسمعانيّ، الأنساب: ج٢/٧، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٤، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٥١، وابن الجوزيّ، المنتظم: ج٧/٨٢، ٨٤، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٤، وابن الأثير: عزّ الدّين، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): اللُّباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. ج١/٢٤٩، والكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ج٦/٢١٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/٤٧٤، وأبو الفداء، المُختصر في أخبار البشر: ج١/٣٦٤، والذهبيّ: شمس الدّين، محمّد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تحقيق: صالح السّمر أشرف على تحقيقه: شُعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. ج١١/٥٢٧، والعمريّ، مسالك الأبصار: ج٧/٣٢٠، وابن الورديّ، تاريخ ابن الورديّ: ج١/٣٢١، واليافعيّ، مرآة الجنان: ج٢/١٢٠، وابن نباتة، سرح العيون: ص٢٥٠، والدميريّ، حياة الحيوان: ج١/١٧٠، وابن المرتضى: أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م): المنية والأمل في شرح الملل والنِّحل، تحقيق: محمّد جواد مشكور، مؤسسة الكتاب الثقافيّة، إيران، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ص ١,٦٤ وابن حجر العسقلانيّ، لسان الميزان: ج٤/ ٣٥٥-٣٥٧، والسيوطيّ: جلال الدّين، عبدالرّحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ج٢/٢٢٨، وحاجي خليفة: مُصطفى بن عبدالله المعروف

بالملا كاتب الجلبيّ (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م): كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون، مُصورة عن طبعة إستانبول، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. ج١/٣٨، ٢٦٣، ٦٩٦، ج٢/١٣٩٢، ١٣٩٨، ١٤٥٤، ١٦٠٩، وابن الغزيّ: أبوالمعالي، شمس الدّين، محمّد بن عبد الرّحمن (ت ١١٦٧هـ/١٧٥٣م): ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م. ج١/٦٥.

(٩٩) انظر: إسماعيل البغداديّ، هدية العارفين، مصورة عن طبعة إستانبول، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. ج١/٨٢، وجميل جبر، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م. ص٢٤، وجورج غريب، الجاحظ (دراسة عامة): ص١٥، ١٦، وخليل مردم، الجاحظ، مكتبة عرفة، دمشق، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م. ص٣، وخير الدين الزركليّ، الأعلام: ج٥/٧٤، وداود سلّوم، الجاحظ (منهج وفكر)، دار الشؤون الثقافيّة العامة، الطبعة الأولى، بغداد، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م. ص١٧، وشارل بلاّ، الجاحظ: ص٩٢، ٣٦٨، وشوقي ضيف، العصر العباسيّ الثاني: ص٥٨٧، وطه الحاجريّ: الجاحظ (حياته وآثاره): ص٤٤٩، وعلي أبو ملحم، كشاف آثار الجاحظ، نُشر مُلحقاً برسائل الجاحظ الكلاميّة: ص ٣٤. وعلي شلق، مراحل تطور النثر العربّي في نماذجه: ج٢/٢٢٩، وعمر الدّقاق، ملامح النثر العباسيّ: ص١٤٨، وفوزي عطوي، الجاحظ دائرة معارف عصره: ص١٦، وكارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، نقله إلى العربيّة: عبدالحليم النّجار ورفاقه، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م. ج٣/١٠٧، ومحمّد عبدالمُنعم خفاجي، أبو عُثمان الجاحظ: ص٨٥، ٢٥٩، ومحمّد كرد علي، عمرو بن بحر الجاحظ: ص ١٩، ونوري جعفر: الجوانب السيكولوجيّة في أدب الجاحظ: ص٢٩، وهاشم مناع ومأمون ياسين، النثر في العصر العباسيّ، دار الفكر العربيّ، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ص ٨٠.

(١٠٠) انظر: المسعوديّ، مروج الذهب: ج٤/١٩٦، والسمعانيّ: الأنساب، ج٢/٧، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٤، وابن الجوزيّ، المنتظم: ج٧/٨٤، وابن الأثير، اللُّباب: ج١/٢٤٩، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٣/٤٧٤، وأبو الفداء، المُختصر في أخبار البشر: ج١/ ٣٦٤، وابن الورديّ، تاريخ ابن الورديّ: ج١/٣٢١، والسيوطيّ، بُغية الوعاة: ج٢/٢٢٨، والخوانساريّ، روضات الجنات: ج٥/٣١٢.

(١٠١) انظر: جورج غريب، الجاحظ (دراسة عامة): ص ١٦.

(١٠٢) انظر: النديم، الفهرست: ص٢٩١، ٢٩٣، والخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٣، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٥٠، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/٧٤، والعمريّ، مسالك الأبصار: ج٧/٣٢٠.

(١٠٣) انظر: ابن المرتضى، المنية والأمل: ص١٦٤، وعزّ الدين إسماعيل: المصادر الأدبيّة واللغويّة في التراث العربيّ، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م. ص١٣٧، وعلي أبو ملحم، كشاف آثار الجاحظ، نُشر ملحقاً برسائل الجاحظ الكلاميّة: ص ٣٤.

(١٠٤) النديم، الفهرست: ص.٢٩١ وانظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٣، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٥٠-١٥١، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٧.

(١٠٥) انظر: الذهبيّ، شمس الدين، محمّد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبدالسّلام تدمريّ، دار الكتاب العربيّ، الطبعة الأُولى، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. حوادث ووفيات ٢٤١-٢٥٠هـ/ ص ٢٨، وسير أعلام النبلاء: ج ١١/٥٢٧، والإعلام بوفيات الأعلام، تحقيق : رياض عبد الحميد مراد وعبد الجبار زكّار، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأُولى، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. ص ١١٢.

(١٠٦) انظر: الصفديّ، الوافي بالوفيات: ج٢٣/ الورقة ٥٦.

(١٠٧) انظر: الكتبيّ، عُيون التواريخ: ج٨/ الورقة ١٥٤ (وفيات سنة ٢٥٠هـ).

(١٠٨) انظر: ابن تغري بردي: أبو المحاسن، جمال الدّين، يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النّجوم الزّاهرة في مُلوك مصر والقاهرة، مُصورة عن طبعة دار الكتب المصريّة، وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م. ج٢/٣٣٢.

(١٠٩) انظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ج٣/٢٣١.

(١١٠) انظر: الذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ج١٦/٤٤١.

(١١١) انظر: الذهبيّ، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٣٥١-٣٨٠هـ/ ص ٦٥١-٦٥٢، وابن العماد، شذرات الذهب: ج٤/ ٤١٩.

(١١٢) انظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢٢٠، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/ ٤٤٤، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص ١٥١.

(١١٣) انظر: المسعوديّ، مروج الذهب: ج٤/١٩٥، وابن حجر العسقلانيّ، لسان الميزان: ٤/٣٥٥.

(١١٤) انظر: الذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ج١١/٥٢٧، والصفديّ، الوافي بالوفيات: ج٢٣/ الورقة ٥٦، وابن العماد، شذرات الذهب: ج٣/٢٣١.

(١١٥) انظر: الجاحظ: أبو عُثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) : فصول مُختارة، حقّقها وقدّم لها: محمّد محمُود الدروبيّ، دار البشير، عمّان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م. ص١٠٧.

(١١٦) انظر: الطبريّ: أبو جعفر محمّد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرُّسل والملوك، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث العربيّ، بيروت، د.ت. ج٩/٣٤٨-٣٥٣، ٣٦٢-٣٦٤، والمسعوديّ، مروج الذهب: ج٤/١٦٤-١٦٥.

(١١٧) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٣٣٤.

(١١٨) انظر: المسعوديّ، مروج الذهب: ج٤/١٩٥.

(١١٩) انظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ٤/٣٥٥.

(١٢٠) المسعوديّ، مروج الذهب: ج٤/١٩٥.

(١٢١) انظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٣، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٥٠-١٥١، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٣.

(١٢٢) انظر: الطبريّ، تاريخ الرُّسل والملوك: ج٩/٣٨٩-٣٩٢.

(١٢٣) انظر: الشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٤-١٩٩، والنديم، الفهرست: ص٢٩١، ٢٩٣، والخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٢-٢٢٠، والسمعانيّ، الأنساب: ج٢/٦-٧، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٤٨-١٥٠، وابن الجوزيّ، المُنتظم: ج٧/٨٢-٨٤، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/ ٧٣-١١٤، وابن الأثير، اللُّباب: ج١/٢٤٨-٢٤٩، وأبو الفداء، المُختصر في أخبار البشر:ج١/٣٦٤، والذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ج١١/ ٥٢٦-٥٣٠، والعمريّ، مسالك الأبصار: ج٧/٣١١-٣٣٣، وابن الورديّ، تاريخ ابن الورديّ: ج١/٣٢١-٣٢٢، والصفديّ، الوافي بالوفيات: ج٢٣/ الورقة ٥٦-٦٠، والكتبيّ، عُيون التواريخ: ج٨/ الورقة ١٥٤-١٥٨، وابن نباتة، سرح العيون: ص٢٤٨-٢٦٠، واليافعيّ، مرآة الجنان: ج٢/١٢٠-١٢٣، وابن كثير، البداية والنهاية: ج١١/٢٥ ، وابن المرتضى، المنية والأمل: ص١٦٢-١٦٤، والسيوطيّ، بُغية الوعاة: ج٢/ ٢٢٨، وابن العماد، شذرات الذهب:ج ٣/٢٣١-٢٣٢.

(١٢٤) انظر: المسعوديّ، مروج الذهب: ج٤/١٩٥، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/ ٤٤٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٣/٤٧٤، والدميريّ، حياة الحيوان: ج١/١٧٠، وابن حجر العسقلانيّ، لسان الميزان: ج٤/٣٥٥.

(١٢٥) انظر: خير الدّين الزركليّ، الأعلام: ج٥/٧٤، وشارل بلاّ، الجاحظ: ص ٣٦٨، وعلي أبو ملحم، كشاف آثار الجاحظ، نُشر مُلحقاً برسائل الجاحظ الكلاميّة: ص ٧، وعلي شلق، مراحل تطور النثر العربّي في نماذجه: ج٢/ ٢٩٩، وفوزي عطوي، الجاحظ دائرة معارف عصره: ص ١٥، ومحمّد عبدالمنُعم خفاجي، أبو عُثمان الجاحظ: ص ٨٤، ومحمّد كرد علي، عمرو بن بحر الجاحظ: ص١٩، ونوري جعفر، الجوانب السيكولوجيّة في أدب الجاحظ: ص ٩، وهاشم مناع ومأمون ياسين، النثر في العصر العباسيّ: ص ٨٠.

(١٢٦) انظر: السيد أحمد الهاشميّ، جواهر الأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت. ج٢/١٧٤.

(١٢٧) انظر: الشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩، ياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٣.

(١٢٨) انظر: المسعوديّ، مروج الذهب: ج٤/١٩٦، والشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٩، والحصريّ، جمع الجواهر: ص٢٠٣-٢٠٤، والخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/ ٢١٩، والسمعانيّ، الأنساب: ج٢/٧، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٣، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٥٠، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٣/٤٧٤، وأبو الفداء، المُختصر في أخبار البشر: ج١/٣٦٤، وابن الورديّ، تاريخ ابن الورديّ: ج١/٣٢١ ،وابن نباتة، سرح العيون: ص٢٥٣، واليافعيّ، مرآة الجنان: ج٢/١٢٢، وابن كثير، البداية والنهاية: ج١١/٢٥، والدميريّ، حياة الحيوان: ج١/١٧٠، وابن

حجر العسقلانيّ، لسان الميزان: ج٤/٣٥٥.

(١٢٩) النديم، الفهرست: ص ٢٩١. وانظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق:ج ٤٥/٤٤٣، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٥٠-١٥١، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٣.

(١٣٠) انظر: العمريّ، مسالك الأبصار: ج٧/٣١٧.

(١٣١) انظر: الجاحظ، رسائل الجاحظ ، جمعها ونشرها : حسن السندوبيّ، المطبعة الرحمانيّة، الطبعة الأُولى، القاهرة، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م. ص٣١٣-٣١٥، ورسائل الجاحظ (تحقيق هارون): ج٣/١١١-١٢٨، والتنوخيّ: أبو علي، المُحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجيّ، دار صادر، بيروت، ١٣٩١-١٣٩٣هـ/ ١٩٧١-١٩٧٣م. ج٤/٦٨-٦٩، والشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٧، والحصريّ، جمع الجواهر: ص٢٠٤، والخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٥، والسمعانيّ، الأنساب: ج٢/٦، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤١، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٤٩-١٥٠.

(١٣٢) النديم، الفهرست: ص ٢٩١. وانظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/٤٤٣، وابن الأنباريّ، نُزهة الألبّاء: ص١٥-١٥١، وياقوت الحمويّ ، معجم الأُدباء : ج١٦/١١٣.

(١٣٣) النديم، الفهرست: ص ٢٩١، والخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩.

(١٣٤) الأصفهانيّ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م): الأغاني، تحقيق: علي السباعيّ، إشراف: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ج٢٣/٢٢.

(١٣٥) الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢/٢١٩ -٢٢٠، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج٤٥/ ٤٤٣-٤٤٤، وياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٦/١١٤، والصفديّ، الوافي بالوفيات: ج٢٣/ الورقة ٥٩.

(١٣٦) انظر: ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدّين، محمّد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت. مادة طرف.

(١٣٧) ج ٢٣/ ٢٢-٣٦.

(١٣٨) انظر: إبراهيم النّجار، شُعراء عباسيون منسيون، دار الغرب الإسلاميّ، الطبعة الأُولى، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. ج٢/ ١٣٧-١٥١.

(١٣٩) انظر: الشريف المرتضى، الأمالي: ج١/١٩٦.

(١٤٠) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج٩/٢١٢.